ديوان الماحي

محمد مصطفى الماحي

سنة ١٩٣٤



محمد مصطفى الماحي

سنة ١٩٣٤

مطبعة الأخبار بحارة الزويعي نمرة ١٧ بمصر



صاحب الديوان

الإهداء

الى كلّ نفسٍ في الوجود أبيّةٍ　ترى المجدَ أن تشقَى، ولا تقبلُ الظّلما

الى الوطنِ المحبوبِ، والقادةِ الأُلى　حفظتُ لهم طيَّ الفؤادِ هوًى جمّا

الى المثلِ الأعلى، إلى الأملِ الّذى　تملّيتهُ حينًا، فلتُ بهِ النُّعمى

الى مَنْ حواه القلبُ، وانصرفتْ له　مُنى النّفسِ، حتّى خالطَ الدّمَ واللحما

وَمَنْ حُسنُهُ في يقظتي جِدّ ماثلٍ　فإن هجعتْ عيني تمثّلَ لي حُلْما

الى فتراتٍ في الشّباب قَضيتُها　تولّت، وأبقتْ حسرةً تبعثُ الهمّا

خواطرُ نفسٍ، كنّ ينفعنَ غُلّتي　وأسبابُ أُنسٍ، طالما أذهبتْ غمّا

هديّةُ إخلاصٍ وذِكرى مشوقةٌ　لعهدٍ تقضّى مَا أجلّ وما أسْمَى

محمد مصطفى الماحى

تمهيد

بقلم صاحب الديوان

نزعتي الأدبية

شاء لي القدر الباسم ـ وما أحب ما شاء إلى نفسي ـ أن أعكف منذ فجر حياتي على الأدب العربي فكنت مشغوفا بتفهم آثار الشعراء الأقدمين ، وتذوّق محاسن الشعراء المعاصرين ، ولقيت من أساتيذي تشجيعاً كان الحافز لي على المثابرة والدأب ، وما أنس لا أنس ذلك الأثر السار الذي تركه في نفسي نشر قصيدة لي في صحيفة المؤيد ـ أول عهدي بالنشر ـ وسني لم تعدُ وقتئذ السابعة عشرة ، فترامت إليّ الأخبار بأن أستاذي في اللغة العربية ـ وكنت في بلد ناء عنه ـ أعجب بهذه القصيدة وتلاها على تلاميذه ليستحث نشاطهم ، ويستثير غيرتهم .

دوافعي إلى الشعر

وكان من خير ما توفرت على دراسته وعنيت بتفهمه ، بين ما قرأته وسهرت له ، شعر المتنبي ، وأبي العلاء ، وابن زيدون ، والبهاء زهير ، ثم كان مقدراً لي أن أندمج في بيئة من خير بيئات الأدب في مصر فعملت أول عهدي بالعمل الحكومي ـ في إدارة كان على رأسها ذلك الكاتب الكبير المغفور له « محمد المويلحي » وفي زمالة كثير من الكتاب النابغين ، والشعراء المبرّزين فكان لي من اتصالي الروحي بالمتقدمين ، وتأدبي فترة من الزمن بأدب المعاصرين ، عدة ، وسمة ما زال بياني يتميز بها . هذا إلى اطلاع على شيء من آثار الأدب الغربي .

وشغلتني بعد ذلك أعباء العمل واضطلاعي بمهامه عن الاتصال بمجامع الأدب وغشيان مجالس الأدباء فآثرت العزلة واستمتعت بالوحدة .

على أنه إذا كان ناموس الحياة يقتضي الكائن الحي أن يتنفس . والقلب أن ينبض ، فان ملكة الشعر تقتضي الشاعر أن يحس ويشعر ، فكان لي ـ الفينة بعد

الفينة ـ خاطرة توحي بها مناسبة ، أو فكرة يتفتح عنها الذهن ويصورها الخيال ، أو ذكرى تتمثل للخاطر فتجيش بها العاطفة ، أو حادث يثير كوامن الأشجان . وكنت إذا أكملت شيئاً من ذلك آثرت أن أطويه قانعا بارضاء جانب الأدب من نفسي ، كالمثّال المتواضع مايزال يعصر ذهنه ويستوحي ملهمه حتى يحسن ويبدع ، ثم يرى أن يحجب ما ألهمه ليستجم ، مؤثراً أن يرضيَ جانب الفن من نفسه .

وأشهد الله أني رجل لا أنزلق إلى الاغترار بمدح ولا إلى الاعتداد بشعر ، وإني لأدرك أن موازين النقد في هذا الزمن قد أصابها التطفيف والاضطراب ، وأن مقاييس الأدب قد اعتورها كثير من الفساد والهوى ، وقد قنعت من حظي في الحياة بما أنعم الله به عليّ فما تقدمت بي رغبة ولا أحجمت بي رهبة . بل كنت أنطق جاهدا عن الشعور الصادق ، وعن همسات النفس ، وخلجات القلب ، ووحي الضمير ، وما خطر لي يوما أني سأواجه عالم الأدب العربيّ بنشر هذا الديوان .

وانقضت على ذلك سنوات وسنوات حتى شاء القدر مرة أخرى أن أصطفى بعض كرام الأصدقاء ممن يمتون إلى الأدب بأقوى سبب ، فما زالوا يستدرجوننى ويوحون إليّ في عذب حديثهم وصفاء ودهم ، فاذا بى أجول في حلبة الأدب ، وإذا بي أغشى محافل الأدباء وأنشيء القصائد وأنظم المقطوعات غير عاد يقيني ولا مخالف لعقيدتى ، وإذا الصحف تتفضل فتحسن قدر بضاعتى المزجاة ، وإذا أصفياء ودي ممن تجمعني بهم وشيجة الفضل ورابطة الأدب يدفعوننى إلى تدوين كلماتى وجمعها في كتاب .

وإني لأرى من الانصاف لنفسي أن أشير إلى أمور أقدرها قدرا كبيرا ، فقد تبدو للمطلع ظاهرة الاقلال في شعري، وأنا أصارحه أني لم أعن من قبل أن أكون شاعرا مكثرا، وحسبى من الفكرة الصحيحة القويمة أن أبينها في أبيات قليلة وألفاظ كريمة ، فان كان المجال ذا سعة وتطلبت الحال بسطة في المقال

أطلقت بياني على سجيته ، كما يتجلى ذلك في « قصة أحمس الاول » وفي قصيدة « أحلام الشباب » .

كذلك قد يقف القارئ الكريم على مقطوعات في هذا الديوان فينظر فيها نظرة المتأمل الذي يجد الصدفة بين الدرر ، ويحسبها دون غيرها قدراً ، وأقل روعة وخطرا ، كمقطوعات « هل من سلام » و « عدمتك يا قلب » و « الاغضاء » و « أحدوثة الصبا » فليحسب الناقد هذه المقطوعات على الشاعر فانها من ذكريات الشباب وأحاديث النفس عن مسرات الصبا ، فان فاتها شيء من روعة الديباجة ودقة الأداء وقوة السبك فانها لم تعد أن تكون أثرا من تفكير الشاعر في مناسبات لايزال يحرص على استبقاء ذكرياتها ومعاودة التأمل فيها ، فهو قانع برضاء نفسه عنها ومراجعته إياها .

أسلوبي في الشعر

ولعل أول مايبده الناظر في شعر هذا الديوان البعد بألفاظه عن التعمل والاغراب ، و بمعانيه عن الاغلاق والاغراق والميل به إلى التبسط والتمهيد ، طلباً للاتصال

بكل نفس ، والدخول في كل قلب ، والتمثل لكل خاطر ، ذلك لأني أعد الشعر قطعة من النفس ، وأنا أتمثل كمال النفس في رفقها وابتعادها عن العنف ، واتزانها حتى في هيجها وجموحها ، فاذا كنت قد أصبت شيئاً من النجاح في هذه الحياة فمردّه ما أخذت نفسي به من حبّ الناس والتحبب إليهم ، واحتمال هفواتهم ، والتغاضي عن زلاتهم ، واكتساب موداتهم ، في كرامة وإباء ، وفي غير ملق أو رياء ، ولا ضعف أو استخذاء . ومن نظري إلى الحياة نظرة كلها الثقة بالله وبالحق وبالاخلاق .

وأحسب أن المثل الأعلى للنفس هو ما قصدت إليه في قصيدتي « نفس حرة »

« فلله نفس حـرة لا تهيجهـا
أذاة ولا تفشى الخطوب لها سـرا
إذا رضيت كانت على الناس رحمة
وإن غضبت لم تحمل الحقد والمكرا »

وعلى ضوء هذا القبس النفساني جاء شعري صورة لعاطفتي ، بعيداً عن التكلف والتصنع ، فليس الشعر في

حسباني رياضة علمية، ولا مسائل كيميائية ، ولا ألغازا تحل أو طلاسم ومعميات تتعب في مرادها العقول ، وتكل عن فهمها الأذهان ، و إنما هو معان وشعور وعواطف ، وأحاديث للقلب يبين عنها اللسان ، فأين من هذا كله المعاظلة ، والاغراب والاغراق ، وخاصة فى زمن تغلبت فيه النزعة المادية على كل عنصر من عناصر الحياة ، فمالت النفوس اليها ولم يبق من الجانب الأدبي إلا بقية توشك أن تنضب فيذهب بنضوبها ريح الأدب وريحانه ، ولا خير فى حياة لا يغذيها الأدب، ولا خير في الدنيا إذا انقطعت فيها المودات وتحجرت القلوب ، وجمدت العواطف ، وخمد الشعور .

فقل لي ناشدتك الله بمَ نغذي هذا الجانب الأدبي ، وبمَ نقوّيه ونجتذب قلوب الناس اليه ، أبالاغراب في اللفظ أم بالاغراق في المعنى ؟ وما الذي يدفع القاريء في هذا الزمن الذي توزن فيه كل دقيقة بما يُجنى فيها من الثمر والجدوى ، إلى إضاعة ساعات من الوقت في قراءة قصيدة مستغلقة، وتفهم معان مستعصية ؟

رأيي في التجديد

وأحب أن أسجل هنا عقيدتي الخالصة في أن الشعر العربي يجب أن تبقى الصلة قائمة بين ماضيه العتيد ، وحاضره الجديد ، وأن يعنى في نسجه ونهجه بمتانة الأسلوب ، وروعة الديباجة ، وإصابة المعنى ، وسلامة الذوق ، ووضوح البيان . ولا مندوحة للشاعر المتصل بالروح العربيّ والروح الغربيّ حين ينظم من أن يتلمس كل هذه الدقة في التصوير وحسن الأداء حتى لا ينحرف بشعره عن جادّة العربية فيجيء به نابيَ الصورة ضعيف الأثر في النفس ، بعيدا عن القرار بالقلب والاتصال بالشعور ، وإنه إن جاء به على هذه الصورة ، لخليق به أن يكون شعره — وإن أحسن — مباءة حكمة ومعرض تماثيل وظرف علم ، وأين من هذا — على جلاله — روح الشعر الصافي وإلهامه السامي .

ولست في هذا الرأي عدوّا للتجديد ، ولكني أكره الطفرة ، وأحسب أن خير ما يخدم به الشعر

العربي تقريب ما بينه و بين غيره ، والحرص قبل كل شيء على النهج العربي ، مع تنويع أغراضه وفنونه ، وأخيلته ومعانيه ، تمشيا مع الزمن ، وحاجات العصر الذي نعيش فيه ، فيستطيع أدباؤنا بهذا وحده أن يفاخروا بشعر عربي مبين ، وعصري متين .

ذلك ما دنت به وعملت له وأرجو أن أكون قد وفقت اليه .

ولقد حرصت على أن أنقل إلى القراء صور كثير ممن تناولهم شعر هذا الديوان في مناسبات منوعة ، ليكون أروح للنفس وأجم للخاطر وأدنى إلى القلب .

* * *

ولقد تفضل عليّ ثلاثة من رجال البيان في هذا العصر — أمد الله عمرهم ونفع بهم — فجاءوا بآية جديدة على حسن قدرهم لصاحب الديوان ، وعلى جميل صنيعهم إليه .

فأوحى الوفاء الصادق إلى الشاعر الجليل الأستاذ «خليل مطران» أن يقلد جيد هذا الديوان درة من درره الغالية فبعث بتحية كريمة حرصت على أن أنقلها إلى القراء

بخط يده تخليداً لمأثرته ، وضننا بهذا الأثر الأدبي النفيس .

وأبى فضل الشاعر الكبير والكاتب القدير الأستاذ « عبد الله عفيفي » المحرر العربي لديوان « جلالة الملك » إلا أن يكتب بقلمه المبين مقدمة الديوان .

وكرم علينا الشاعر المبدع الأستاذ « محمود عماد » فنظر في شعر هذا الديوان نظر الباحث الأمين ، المتصل بنفسية صاحبه فكان لعمق فكرته وطول صحبته ، ما زاده توفيقاً في البحث ووصولا إلى الحقيقة .

***

وإذا كان على أهل هذا العصر واجب يسعدون بأدائه فهو الشكر لخالق هذه النهضة الأدبية الكريمة ، وباعث الروح الفكرية القويمة ، ومحيي مادرس من مآثر اللغة العربية ، ومجدد مفاخرها ، ورافع أعلامها جلالة الملك المعظم « فؤاد الاول » حفظه الله ، وحرس ولي عهده صاحب السمو الملكي « الأمير فاروق أمير الصعيد » .

أول مارس سنة ١٩٣٤

محمد مصطفى الماحي



الأستاذ خليل مطران

الى الصديق الكريم الاستاذ الكبير محمد مصطفى الماحي

ابدعت في ديوان شعرك | فجملته مرآة عصرك
وكفى لذلك ما جلا | للناس من مرآة عمرك
هل امر هذا الناس ان | حققت الاعين امرك
تتنا كل النزعات في الـ | ـدنيا وتختلف المحرك
وسع الاجادة جدة | ان شئت من تحسين فكرك
يا لطف ما اودعت في الـ | الفاظ من نغمات سحرك
وكشفت من شكله المعا | ني الغر في لمّاح ذرّك
كم ضاق بحر لا يحد | بما حوته حدود بحرك
ادب هو العنوان في الـ | ما تؤثر من آداب دهرك
آيات نظمك احكمت | تفصيل آيات نثرك
عش ما تشاء موفقا | ومهنأ بخلود ذكرك

القاهرة في ٢٦ فبراير ١٩٢٤ | خليل مطران

الديوان



مقدمة

بقلم الأستاذ عبد الله عفيفي

الشاعر المصري

محمد مصطفى الماحي

الشعراء المصريون فى العصر القديم

كان مما امتاز به الشعراء المصريون منذ انبثق فجر الشعر في مصر، يقظة شاعريتهم، وقوة انتباهتها لكل لمحة خاطرة، ولكل بادرة نادرة، وفي كل موطن من الروية والبديهة، والحس والوجدان.

ولقد تقلبت على الشعر المصري حالات مختلفة من القوة والضعف، والصلابة والسماحة، والعروبة والعجمة، وما تزال هذه السجية أوضح سجاياهم في الشعر: فلم تخلُ حادثة من حوادثهم، ولا مشهد من مشاهدهم،



الأستاذ عبدالله عفيفي (٣)

ولا منظر من مناظرهم ، ولا مجلس من مجالسهم ، ولا مجال من مجالاتهم ، من قصائد أو مقطعات أو موشحات أو مواليات أو أزجال أو ما إلى كل ذلك من فنون الشعر .

وما عهدنا مكاناً من الأمكنة اجتمع فيه شاعران أو شعراء وسنحت أمامهم سانحة تسترعى الأبصار إلا تجاذبوا فيها الشعر بديهة وارتجالا ، وربما ذاع أمر تلك السانحة وما قيل فيها من الشعر عند من لم يرها فقالوا فيها ، ثم لا تلبث أن تصير بعد أن يتجاذبها الشعراء جميعاً حدثاً من الأحداث .

ومما نذكر أن الجليس بن الحباب — وهو من الشعراء الذين أدركوا الدولتين الفاطمية والصلاحية — كان يحمل أنفاً كبيراً ، فقال فيه شعراء هذا العصر ألف قطعة من الشعر ! هكذا يقول صاحب كتاب « فوات الوفيات » وما عهدنا حدثاً من الأحداث العظام فى الجاهلية والاسلام قيل فيه هذا القدر أو نصفه أو جزء كبير منه .

لكل ذلك لم يترك الشعراء المصريون منشأة ناهضة ،

ولا بناء قائما ، ولا سبيلا مورودا ،ولا غرفة من الغرف ، ولا طرفة من الطرف ، ولا تحفة من التحف ، إلا جملوها بالشعر أو أرخوها بالشعر .

حتى الأضرحة والزوايا والنواويس وسموها بالشعر! وما فعل ذلك قبلهم شعب من الشعوب ولا أحد من الناس .

الشعراء المصريون في العصر الحديث

وفي هذا العصر الحديث فترت الروح الشاعرة في مصر وفي غير مصر من أقطار البلاد العربية ، فلم تبق لها يقظتها اللائحة ، ولا انتباهتها السانحة — لا لأن الفطرة الشاعرة قد أدركها الوهن والهمود ، فانك ماتزال تستجلي روح الشعر وطبع الشعر في كثير من الناس وإن كنت لا تراهم يقولون الشعر أو يقرأون الشعر ، ولكن أثقال المادة غلبت خفة الروح ،وعجيج الصناعة حجب نور الفطرة ، وتولى زعامة الأدب في مصر وفي غير مصر فريق من غير الشعراء لم يجدوا من أنفسهم دافعاً لايقاظ الروح الشاعرة ،فأقبلوا على الكتابة وتركوا

الشعر وشأنه، بل إن منهم من غض من منزلته وصرف الناس عنه وجحد ماله في النفوس من أثر ونفاذ وسحر وجمال .

ولو أن هذه المنشئات التى نهضت، وتلك المبتدعات التى ابتدعت ، وهذه الأحداث التى طغت جاء بعضها فى غير هذا العصر لرأيت سيلا هادراً زاخراً من الشعر يقل بجانبه الموج المتدفع والوابل الفياض .

فالروح الشاعرة لا تزال على مانعهدها في المصريين من شدة أسر وقوة تكوين ، ولكنها تجد الصعاب قائمة من زعامة غير الشعراء فتسكن وتستنيم، ولو علم هؤلاء أن الشعر في المحل الأعلى من الفنون الجميلة ؛ بل لو علموا أن الشعر يحوي محاسن الفنون الجميلة جميعا لاقتصدوا فى هذا السرف ، ولا تأدوا في هذا العنت ، ولتمهلوا في هذا الهجوم .

فالشعر موسيقى ورسم وتصوير وتمثيل ، والشاعر يجمع فى شعره تلك الفنون ويكسوها — على قدر ما يسر له — ديباجة واضحة الصفاء رائعة البهاء .

وإذا كان العرب يبتهجون بظهور الشاعر أكثر مما كانوا يبتهجون بالملك الطارف والنصر المبين ، لأنه ينافح عن أحسابهم ، ويذود عن أقدارهم ، ويذيع محامدهم، ومفاخر آبائهم، فان من حقنا أن نبتهج بالشاعر أكثر مما كانوا يبتهجون ، لأننا ندرك من فلسفة الشعر وحقيقة الشاعر أكثر مما كانوا يدركون .

فالشاعر أثر من آثار الانسانية النبيلة السامية ، والشعر مظهر من مظاهر النفس المشرقة الساطعة، والشاعر الذي لا يكون كذلك ليس بشاعر ، والشعر الذي لا يكون كذلك ليس بشعر .

الشاعر محمد مصطفى الماحي

ولقد عرفت الشاعر « محمد مصطفى الماحي » فعرفته شاعراً بسمته وهيئته، وطبعه وفطرته ، وروحه ومادته، وبديهته ورويته ، وخياله وحقيقته — عرفته بهؤلاء جميعاً قبل أن أعرفه شاعراً بلفظه وقوافيه . فلما سمعت شعره مبادهة ، وقرأته على مهل علمت أن هذه المخايل الصادقة كالبرق يتبعه المطر، والزهر يعقبه الثمر .

والشاعر «محمد مصطفى الماحي» يقظ الشاعرية، متنبه الوجدان، دقيق الحس، لماح النظر، قوي العاطفة، فهو من هذه النواحي شاعر مصري يصل ما بينه وبين أسلافه السابقين بسبب متين. وإنك لتقرأ شعره فتجد صورته وصورة ما يحيط به واضحة جلية لا يعتورها نقص، ولا يشوبها كلف، ولا يزيدها زخرف أو تمويه، ففي ديوانه الذي بين يديك تجد صولة الحب، وثورة العاطفة، وسورة الشباب، وزهوة الأمل، ولوعة الحزن، وشكوى الزمان، ومساجلة الاخوان، وفيه ذكرى الحوادث العامة، ونقد لحالات الاجتماع، وفيه ماشئت من آثار القوة الشاعرة، والقوة المفكرة.

وقد ألهمته روحه المصرية، وفطرته المصرية، وشاعريته المصرية، ذلك القول المستفيض من حديث الاخاء والاخوان، فقد كرّم إخوانه أحياء وبكاهم أمواتا أكثر مما كرمهم غيره وبكاهم، وذلك مما يذكرني بالشاعر البحتري، فقد كانت مراثيه أندى على القلب من مدائحه، فسئل في ذلك فقال: نحن قوم غلب وفاؤنا

رجاءنا . ومن عرف وفاء الشاعر « محمد مصطفى الماحي » لا يستكثر عليه أن ينظم فلذات قلبه في رثاء الأصدقاء وغير الاصدقاء.

ومن ذا الذي يستمع قول الشاعر « محمد مصطفى الماحي » في رثاء صفية عزيزة عليه :

« أخت البدور ـ وكنت أبهى منظرا
وأجل حسنا ـ هل يحين إياب ؟
لك في فؤادي صورة لم يمحها
عادي الزمان ، وصرفه الغلاب
لولا سكوتك لم أصدق ناعيا
ولقلت هـذا ساحر كذاب
عودي ترىْ ما ساقه صرف الردى
لى ، فانطوى أمل ، وضاع شباب
ضنت بك الدنيا عليّ وطالما
غرّ المسهد برقها الخلاّب »

ويستمع قوله في الوفاء

« إذا تباعد جسما صاحـبين فما
في ذاك نقص لودّ ضم روحين
بين القلوب اتصال في تباعـدها
نور الوفاء يزيد الحب ضعفين
كم ألف الحب من قلبين فائتلفا
به ، وقسّم روحا بين جسـمين »

من ذا الذي يستمع هذا وذاك وأشباههما ولا يرى فيه أثر الفطرة الصافية الوفية في الشعر .

نغتبط إذن بظهور ديوان الشاعر المصري « محمد مصطفى الماحي » ونعده حلقة من سلسلة الشعر المصري وثمرة من ثمرات الأدب المصري ، وإن رابطة الأدب العربي لتعتز بأحد شعرائها الممتازين وتفتخر به وتعُدّه ذخراً للوطن العربي ينعم من أدبه بالثمر الجنيّ والخير الكثير .

الزيتون في ٨ مارس سنة ١٩٣٤

عبد الله عفيفى

الماحى

موظفا وشاعرا

دراسة بقلم الأستاذ محمود عماد

الشاعر

الشاعر مشرّع الطبيعة الملهم ، يحكم بأقانيمها العالية في كل ما يعرض له من قضايا الكون ، دون تحيز أو محاباة . ومن ثم وجب أن يكون لحكمه من التقديس ما لحكم القاضي بالقوانين الموضوعة . فاذا كان حكم القاضي يكتسب حرمته من الوالى أو السلطان الصادر باسمه ، فأولى ثم أولى بحكم الشاعر أن يكتسب حرمته من اسم الطبيعة التى يحيط سلطانها بكل سلطان .

وإذا كان القاضى يقصر أحكامه على القضايا النظرية التى تحدّ علاقة الانسان بالانسان ، فان الشاعر يرسل أحكامه عامة شاملة حتى تتناول علاقة الأحياء جميعا بالكون ، وما وراء الكون .



الأستاذ محمود عماد (٤)

وذلك لأن قانون الطبيعة الذي يرجع إليه الشاعر في أحكامه أصدق وأخلد من قانون القرية أو الولاية الذي يتغير و يتشكل تبعا لأهواء الساعة ومقتضياتها . ولأن بديهة الشاعر التي يطبق بها هذا القانون أنفذ وأقوم من بديهة غيره . فان الطبيعة أعدتها فيه لهذا الغرض.

الشاعر والعمل

وليس من المستغرب بعد ذلك أن يكون الشاعر موفقاً في السير بكل عمل يزاوله، وأن يبلغ به حد الكمال الذي تنقطع دونه همة سواه . فهو إنما يباشر عمله بتلك البديهة الملهمة ، التي تستطيع الوصول إلى الكمال من أقرب سبله ، وأقلها نفقة . وما الكمال إلا غاية الشاعر التي لا يرضيه دونها غاية . والتي يجشم نفسه ووجدانه الدنو منها و إن حالت دون ذلك حوائل من المادة .

هذه حقيقة ربما خفيت ، بل هي جد خافية ، عن الأذهان الكليلة . فقد رسخ في طين هذه الأذهان ، من أزمنة بعيدة ، شبه عقيدة ، أن الشعر يشغل الشاعر عن أن يؤدي عمله على الوجه الكامل ، وأنه رجل خيال

أكثر منه رجل حقيقة . مع أنه لم يتعلق بالخيال مرة إلا ليصل على أجنحته إلى الحقيقة التى يفني في طلبها أيامه .

وكان من أثر هذه العقيدة البليدة أن انتساب كاتب هذه السطور إلى الشعر حال — في أول عهده بالوظيفة — دون أن يُندب لعمل معين . وكانت حجة الرئيس المعترض على المقترح أني شاعر ! وأن الموظف الكفء لوظيفته لا يصح مطلقا أن يشغل نفسه بالشعر ، و إلا صرفه الشعر عن عمله !!

ولو علم ذلك المعترض أن الشعر نتيجة لازمة لاستقامة البديهة ، واتزان العقل ، وسلامة الذوق ، وصدق النظر ، وأن الشاعر يكون شاعراً في عمله كما هو شاعر في قوله . وأن غايته مما يقول و يعمل هى الكمال وحده لعلم أنه أساء إلى ذلك العمل بمقدار ما أقصى الشعر عنه . ولكن من أين له أن يعلم ذلك وهو غير شاعر ؟ ولا يصح في فهمه دليل على كفاية الموظف إلا أن يكون أداة غير عاقلة ، يربطها إلى مكتب ، ثم يوحي

إليها أن لا ترى ولا تسمع إلا بعينه وأذنه ، وإن كانت عينه عمياء ، وأذنه صماء !!

أما أن يكون الموظف كائناً حياً ، له عقل وإرادة يسموان على إرادته وعقله ، ويصرفان العمل إلى وجهة هي أجدى وأنفع من وجهته ، فهو في عرفه موظف غير كفء لوظيفته . وما كان يصح أن يكون لمثل هذا المعترض عرف ، لولا أن يفوتنا أن للتخيل عرفا !!

إن الشعر لا يشغل الشاعر عن عمله ، بل ربما كان الأمر على النقيض من ذلك ، فقد يشغل العمل الشاعر عن قرض الشعر . وأقول عن قرض الشعر ، لا عن الشعر نفسه ، لأن الشعر جزء من بنية الشاعر ، لا ينفصل عنه وإن لم يقل شعرا ، فتراه ماثلا في حركاته وسكناته بل تراه ماثلا في هواجس يقظته ، وأحلام نومه .

الماحي موظفا

وأصدق مثل نبرر به ما نقول ، الأستاذ « محمد مصطفى الماحى » صاحب هذا الديوان . فقد تولى عمله الحكومي ولما يستتم بعد العقد الثانى من عمره

وأسند إليه بطبيعة الحال منصب صغير ، شأن كل موظف ناشيء ، وكان «الماحي» يومئذ يعالج نظم الشعر وكان يصح ـ لو لم يكن شاعرا ـ أن يظل موظفا صغيراً إلى اليوم كبعض لداته . وكان يصح ـ وهو شاعر ـ أن يمني برياسة جاهلة كالتي نحن بصددها ، لا تقدر مواهبه قدرها ، ولا تشاء أن تنتفع بها ، فيلبث قوة معطلة ، لا من يعرفها ، أو يشعر بوجودها . ولكن شاعرية «الماحي» من جهة وما كان لها من أثر في صقل خلقه وتحبيبه إلى كل نفس . وحظه الحسن من جهة أخرى ، أفسحا له الطريق إلى النجاح ، فظفر فى مراحل عمله برياسات فطنت إلى قدرته وكفايته ، وما زالت ترقي به في مدارج الوظيفة حتى أصبح اليوم قوة رئيسة من قوى الرأى والعمل . وأسندت اليه مناصب مجتمعة قد ينوء بحملها أفراد من غير طرازه ، فما كل موظف من هذا الطراز الأول .

ولا أقول إنه لا قدرة ولا كفاية لعامل إلا إذا كان شاعراً . ولكني أقول إن الشاعرية خير ضمان

لها . لأنها تنشد الكمال في كل ناحية من نواحي الحياة .

فلو أن الشعر يشغل الشاعر عن عمله لما سجل «الماحي» الشاعر هذا الرقم القياسي للموظف المجد . ولكن قد يشغل العمل الشاعر عن قرض الشعر . كما حدث «للماحي» نفسه . فان إخلاصه لعمله جعله يكرس له كل وقته حتى جار على وقت راحته . فكثيرا ما رئي قابعا وراء مكتبه في الوزارة إلى ساعات متأخرة من الليل . باحثاً منقباً في ألفاف الأوراق وأضابيرها . ولذلك لم يظفر الشعر منه إلى اليوم إلا بهذا الديوان .

شعر الماحي

في عالم الأدب اليوم فريقان يتناظران . فريق يتشيع للأدب القديم ، فينحو في شعره مناحي العرب و ينظم بأساليبهم ، حتى ليغلو فيستخدم في نظمه مفردات غريبة كانت تستخدم في العصر الجاهلى أو المخضرم . وحجته فى ذلك أنه يعمل على إحياء هذه المفردات ، زيادة في ثروة اللغة العصرية .

وفريق آخر ينزع إلى التجديد في مناحي شعره

وأساليبه . ويرى أن موجة التحول التي اكتسحت كل مظهر من مظاهر الحياة القديمة ، لا يمكن أن تبقى على الشعر القديم وحده . لأن الشعر سجل العصر الذي يقال فيه .

ولسنا الآن بسبيل تفضيل فريق على فريق ، ولكنا بسبيل أن نعرف موقف «الماحي» الشاعر منهما والذي نراه أنه لم يتحيز إلى فريق بعينه . ولكنه وقف في منتصف الطريق بين الفريقين واتخذ له بين الأدبين خطة وسطا . قال

« كم في القديم جديد الحسن مؤتلق
يوليك من قسمات الحسن ألوانا
إما بعثنا — على الأيام — جدته
أوفى على جدد الآداب ميزانا
وكم جديد نعمنا من نضارته
في أبهج الروض أطيارا وأفنانا
كلاهما تملأ الدنيا محاسنه
وتستجد به الآداب إحسانا »

الصفة الغالبة فيه

ولم يجئ توسطه بين الأدبين عن عمد ، ولكنه جاء من وحي الطبع والغريزة . وذلك لأن الصفة الغالبة فى طبعه هي « الاعتدال » . فلا تكاد تراه متهاونا متراخيا في أمر ، كما لا تكاد تراه ثائرا متطرفا فيه . وإن قصيدته « نفس حرة » لتعبر عن ذلك أحسن تعبير

فهو في كل حالة من حالاته شديد التحفظ ، مالك قياد نفسه ولسانه جميعا . وهو في ذلك أقرب إلى خلق رجال السياسة ، وإن كان بحكم وظيفته أبعد الناس عن السياسة .

ترى هذا الاعتدال واضحا كل الوضوح فى أسلوبه فقد نبا به عن غريب العبارات وحوشيها ، كما نبا به عن ساقطها ومهلهلها . فجاء مشرق الديباجة ، حلو المأخذ بيّن الغرض ، موسيقى النبرة ، حتى ليجد فيه الملحن مادة خصبة لألحانه وأغانيه .

ولو أخذنا برأي القائلين إن الشعر أسلوب فحسب . لكان شعر « الماحي » فى مكانة يشرئب إليها كثيرون من معاصريه .

كما أن الاعتدال واضح فى مناحي شعره ومعانيه . فهو يتجنب الاستكناه والتقصى . و يعمد إلى الاجمال والقصد . حتي فى المواقف التي تحفز العاطفة وتستفزها كالغضب والشكوى والاشفاق وما إليها .

ولولا أني أعرف فى طبعه هذا الاعتدال لقلت إن أغراض شعره لم تؤثر فيه تأثيرا بالغا . و إنه لم تصل به عاطفة الحب ـ مثلا ـ إلا إلى حد التسلية وتزجية الوقت .

دخلت عليه مرة ـ أثناء طبع ديوانه هذا ـ وكان يعيد النظر فى قصيدة « اليتامى » . فسألني رأيي فى الاحتيال على إحلال كلمة « عتب » محل كلمة «شدة» فى البيت الآتى :

« لا تنكروا شدة في القول أعلنها
فأنها زفرات النفس تضطرم »

لأنه توهم في كلمة « الشدة » جرحا لشعور الأغنياء وإن بخلوا على اليتامي المعوزين . فقلت له بل أرى أن تبقي الكلمة على أصلها . لأن الغني الشحيح لا يعالج بالعتب ،

وإنما هو خليق باللعنة الخالدة ! !

بمثل هذا الاعتدال عالج «الماحي» الشاعر أغراض شعره، حتى ما كان منها لا يعالج إلا بالشدة والاغلاظ في القول . فتراه لا يقول لصديقه العاق ، الذي خان وده ، وجحد صنيعه ، إلا هذه الابيات الرقيقة :

« فيا صاحبا ما سؤته ثم ساءني
وأصبح حقي عنده وهو ضائع
لقد كنت إن أخفقت سعيا وجدتنى
لتبلغ — ما قصرت عنه — أسارع
لك الله ما هـذا الجفاء الذي بدا
ألم يك لى فيما حبوتك شافع ؟ »

وإذا تنكرت له الحبيبة ، بعد أن ناط بها رجاءه ، وهجرته لغير ذنب جناه ، لم ينتقم لنفسه منها بأكثر من قوله :

« وكم موقف للعتب بينى وبينها
وكم هجرت عمدا ، وكم أخلفت وعدا
أطيع وتعصى ثم تنهي فأنتهى
وقد وثقت أني خلقت لها عبدا

وما أنا بالزاري عليها وإن جنت
علىّ وسامتني القطيعة والوجدا

حتى إذا توفى الله هذه الحبيبة بعد ذلك . لم يشيعها إلا بعشرة أبيات هادئة رزينة على ما بها من لوعة وروعة ودقة حس « كوكب هوى » .

وهكذا لم يكد ينسى «الماحي» الشاعر اعتداله ورفقه إلا في قصيدتين اثنتين ، رثى بهما طفلة له افترطها في سن باكره «إلى روح ابنتي» و «الذكرى» ، حيث غلبه فيهما الحزن فبكى حتي استبكى . وهذا يدل على أن عاطفة الأبوة تغلب فيه كل عاطفة أخرى .

أغراض شعره

نظم صاحب الديوان شعره في أغراض منوّعة ، كالغزل ، والاجتماع ، والعتاب ، والرثاء ، والشكوى ، والمناظرة ، والوصف ، وغيرها . وأكثر ما نظم في الغزل . وأقله في الوصف ، وإن من يحصى هذه الأغراض لا يجد بينها ذلك الغرض الغالب ، الذي استغرق كثيراً من أشعار معاصريه ولم يفز منه بقصيدة واحدة مستقلة . وهو

السياسة . على كثرة ما توالى على البلاد من أحـداثها المختلفـة .

وقد يخال القاريء ـ لأول وهلة ـ أن صاحبنا جامد العاطفة من ناحية وطنه . لا يجزع لمصابه . ولا يهتز لرفاهته .

ولكن من يفطن إلى دقة مركزه ـ كموظف ورب أسرة ـ لا يبخل عليه بشيء من الاعتذار .

على أن «الماحي» الشاعر وإن لم ينظم في الوطن من حيث هو أحداث سياسية . فلم يفته أن ينظم فيه من حيث هو وطن . وإن في قصيدته الممتعة «قصة أحمس الاول» من الأبيات العريقة في الوطنية . ثم إن في أبياته « إيه يا مصر » وفي إهدائه ديوانه إلى وطنه . وفيما انطوت عليه قصيدتا « تعاون الشباب » و « الأجنحة المتكسرة » من اللفتات اليقظة ، والهزات الوطنية الصادقة ما ينهض دليلا على أن «الماحي» قوي الصله بهذا الوطن .

كذلك أسقط «الماحي» من أغراض شعره غرضين ظلا غذاء الشعر العربى دهرا طويلا ، حتى أصيب

منهما بتخمة كادت تودي به . لولا أن كتب الله له السلامة على أيدي شعراء النهضة الحديثة . الذين اتجهوا به إلى أغراض هي أقرب إلى صميم الحياة ولبابها وهذان الغرضان هما (المدح والهجاء) .

وأن في ذلك لدليلا على استقلال رأي «الماحي» الشاعر واعتدال مزاجه . وأنه لا يساير الأدب القديم أو الجديد الا بمقدار ما يرضي ميوله الخاصة لا ميول الناس .

فاذا رأيناه مع القدماء في قصائده « يا ساري البرق . ولن أنسى . وأنة مسهد . وأنشودة الحب . ووقفة بين أطلال » ثم رأيناه مع المجددين في قصائده « قصة أحمس الاول . والشعر والتمثيل . وتعاون الشباب . وميشيل . واليتامى » أكبرنا فيه رأيه وشاعريته . ولم نتشكك في صدق عقيدته ونزعته .

وأحسب المجال لا يتسع لأن ندرس من نفس الأستاذ الماحي وشعره أكثر من هذه الدراسة الموجزة . فلنترك لقارىء ديوانه تقصي ما أجملنا وتلمس ما أهملنا ؟

محمود عماد

ياسارى البرق

ياساريَ البرقِ هل للشوقِ من هادِ
وهل لمضنى الهوى والشوق من فادِ

أشكو إليك ، وما الشكوى بمجديةٍ
إلا شماتة أعدائي ، وحسّادي

مالى وللحُبّ ، أعيتني مذاهبُه
وساء حالِيَ حتّى ملّ عُوّادي

إن غرّد الطيرُ أورى النّارَ في كبدِي
أو هبّتِ الريحُ أذكتها بإيقاد

***

يا للمحبين ، ماذا في الغرامِ لقُوا
من الهوانِ ، ومن تقطيع أكباد ؟

إذا طوى نفسه طاوٍ على أمل

لم يجن غير الأسى من دهره العادى

أو شامَ برقَ المنى والحسن أخلفه

وآبَ منه بإبراقٍ وإرعاد

***

فأبلغ القومَ حالى إن لقيتهم

وقلْ تركتُ عليلاً ، سقمه باد

واطلبْ – إذا اسطعتَ – منهم حسنَ معتبةٍ

حتى تبلَّ بها من غُلّة الصادي

سلمتَ ياعهد أحبابي – وإن هجروا –

ولا عداك سحاب رائحٌ غاد



الحنين

يا ساعةً مرّت – كأن لم تكن –
عودي فإن النفسَ لا تقنعُ
هل كنتِ حلماً طارقاً في الكرى
كلا ، فعين الصبّ لا تهجع

أو كنتِ ضوءاً بان ثم اختفى
أو كنتِ برقاً في الدجى يلمع

يا ساعةً بلّغتُ فيها المنى
حياكِ عني الصيّبُ المترعُ

شفيتِ مني غلة طالما
قد كنتُ أرويها فما تنقع

وعدتُ أستبقيكِ ، لكنني
أعلمُ أن الدهرَ لا يسمع

يا ساعةَ الوصل ومن لي بها
ولم يَعُدْ في نيلها مطمعُ

فارقَ من أهوى على غرّةٍ
ففارقَ الأنسُ به أجمع

والهفَ قلبٍ حنّ شوقاً له
ولهفَ عينٍ لم تزلْ تدمع

ولهف نفسٍ فاتها حظها
فهو — طوالَ الدهرِ — لا يرجع

تعساً لهذا الدهر من صاحب
يدأبُ في تفريق ما يجمع



ريحانة القلب

ريحانة القلب هل وعد نُسَرُّ به
فقد تعذَّبَ بالهجرانِ صادينا

هل كنتِ إلا نعيماً فاتَنَا ومضى
أو كنت إلا شذى مارقاً يحيينا؟

نأيتِ عنا ، فلا والله ما هدأتْ
نفسٌ ، ولا رقأتْ عينٌ لباكينا

لا تسلميني إلى هجرٍ شقيتُ به
فإنما الهجرُ داءٌ للمحبينا

وواصليني فما في البعد منفعةٌ
غيرَ الشماتةِ فينا من أعادينا

لو يكشفُ الله عن قلبي لبانَ هوىً
هيهاتَ أوفيهِ إيضاحاً وتبيينا

هوى تملّك مني كلَّ عاطفةٍ
فكدتُ أحسَبهُ — من لطفهِ — دِينا

مناجاة الفجر

— ١ —

يا فجرَ ليلتيَ التي لم أهجعِ
أين الرقادُ فقد نبا بي مضجعي

أيبيتُ قاسي القلبِ فيكَ منعّما
وأبيتُ مضطرِمَ الحشا والأضلع

وتطولُ ليلتيَ التي قضيتُها
مضني الجفونِ ، حليفَ شوقٍ موجع

ولطالما قصُرَتْ ليالٍ قبلها
ذقتُ النعيمَ بها ومَنْ أهوى معي

***

يا فجرُ ، هذا البدر غاضَ ضياؤه
وأرى صباحَ غدٍ وشيكَ المطلع

كم فيكَ من إغفاءة لونلتها
حميدتك عينُ معذبٍ لم تهجع

اللهَ في مهجٍ يقطعُها الأسى
لولا الهوى يا فجرُ لم تتقطع

هدأتْ قلوبُ الناسِ إلا واحداً
يُلوى به ومضُ البروق اللمّع (١)

وغفت عيونهمو سوى عيني التي
سهدت ، وأنجدها عصيُّ الادمع

— ٢ —

يا فجرُ صاح الديكُ وابيضَّ الدجى
ومزار من أهوى بعيد الموضع

لا طيفه دانٍ ، وكيف به ولم
أُغمضْ جفوني أو أغيّضْ مدمعي

(١) الوى به الدهر أهلكه

إن أنت لم تهب الرّقاد ولا المنى
فهبِ البيانَ أو أدعْه لي أبدعِ
ما بالُ من أخذ الفؤاد رهينةً
غَلقتْ لديه رهينةَ المستودع (١)
أشكو وما تجدي الشكايةُ للذي
بسوى هوان محبه لم يقنع
لا سرّه بادٍ ، ولا حُبي له
واهٍ ، ولا عهدي له بمضيّع
عذب الهوى حينا كأصفى مشرعِ
حتى وردتُ فكان أكدَر مشرعِ
وحسبته سهلاً فلما جئته
ألفيته صعباً عسيرَ المطلع

---

(١) غلق الرهن ثبت في ملك المرتهن .

وامهجتي وأنا الذي أهدفتها
لشفار منبتر حمائل المقطع
وامهجتي وأنا الذي أطمعتها
في وصل مشهور الملاحة مطمع
يا موردا قلبي الأسى ، لا تنسني
وصن العهود فلست بالمتصنع
خفقات قلبي موشكات أن ترى
وتحس — منذ جفوت — فانظر واسمع
لك أن تعذب قادراً ، وعلى أن
أدع الملامة لا تمر بمسمعي



تعاون الشباب

(دعت جماعة من شباب مصر الى مشروع اقتصادي أسمته (مشروع تعاون الشباب) وافتتحت مشروعها بحفلة أقيمت في ١٤ مارس سنة ١٩٣٣ بسينما فؤاد ودعى الشاعر إلى استثارة همم الشباب وحفز جهودهم إلى العمل فألقى هذه القصيدة :)

لهفةَ نفسى متى يكونُ التلاقى
لمحبّ يذوقُ مُرّ الفراقِ

هاجه الشوقُ والحنينُ لماض
عاشَ يصبو لحسنه البراق

ذكرياتٌ تشوقُ نفسَ المعنّى
حافزات لقلبه المشتاق

كلما مَرّ — من صباها — نسيم
هاج شوقا بقلبه الخفاق

لم يُؤرِّق جفونَه حبُّ ليلى
أو يُذِلْ في الهوى عصيَّ المآقي

لم يُطِلْ ليلَه حبيبٌ تجنَّى
فأراه مصارعَ العشاقِ

إنما هاجه حنينٌ لمجدٍ
وجلالٍ على التقادم باقِ

مجدُ مصرٍ وما رأينا كمصرَ
بلغتْ في الرقيِّ غايَ السباقِ

نشرتْ رايةَ الحضارةِ في الكو
نِ وضاءت به أوانَ المحاقِ

وجديرٌ بنا تذكُّرُ عهدٍ
كان عهدَ السموِّ والإشراقِ

***

يا بني مصر دعوةً من أبي
ظل في حيرة وفي إشفاق
وجد الغرب في ائتلافٍ وجدّ
بينما الشرق سادرٌ في الشقاق(١)
ورأى الغربَ يدفع الشرقَ للذ
لّ ويضفي عليه ثوبَ النفاق
حدثوني يا قومُ عما جني الشر
قُ وما بات من بنيه يلاقي
بلغ الداءُ في النفوس مداه
هل لمرضى النفوس من إفراق ؟ (٢)

---

(١) السادر الذي لا يبالي ما يصنع ، وتكلم سادرا أي غير متثبت في كلامه .
(٢) أفرق المريض من مرضه أفاق وبرئ

ليس في الشرق غير حلو الأماني
من كنوز تزكو على الإنفاق
ليس في الشرق غير ذكري وعود
وكلام يدارُ في الأشداق

***

برز الغرب في الفنون وفي العلـ
ـم فوافي بالمعجزات البواقي
فيه من سخّروا الرياح رُخاءً
وسبيلُ الرياحِ صعبُ المراقي
فيه من ذللوا البحارَ وراحوا
يطلبون النزالَ في الأعماق
فيه من مهدوا الجبالَ وشقوا
في الرواسي خوافقَ الأنفاق

فيه من أنطقوا الجمادَ فغنى
واستثار الدموع فى الآماق

أيما نأمةٍ يرددها الصو
ت حفيفا تذيع في الآفاق (١)

ليسَ من صنعة الشياطين في الأر
ض ولا كيد ساحر أفاق

***

أترى الغرب فيه ما ليس في الشر
ق فنال الغايات باستحقاق ؟

أترى فيه من مضاءٍ وبطش
منذراً للكماة باسترقاق ؟

أترى فيه من ذكاء وعقل
ما يرد الشرقيّ دون اللحاق ؟

---

(١) الحفيف صوت الشجر .

أترى الله خصّهُ بمزايا
ما حوى الكونُ من معان دقاق

ذاك وهمٌ سرى بغير دليل
وحديث أراه محض اختلاق

ذاك حكم التاريخ للشرق مذ كا
ن مقر العلومِ والأخلاق

وأراه نضا ثيابَ التراخي
ونبا جفنه عن الإطراق

عرف العيش غير يأس ولهوٍ
وحواشٍ من الكلام رقاق .

ورأى من تحكم الغرب فيه
سر ما ذاق من شديد الوثاق

فرمى قيده وشد قواه
مسرجات ، فآذنت بانطلاق

قام من منشآته (بنكُ مصر)
راسياً كالجبال رحبَ النطاق

ليس كالمال من حياةٍ لشعب
أي شعبٍ سما مع الإملاق

***

قد رأيتم بالأمس ما صنع القر
شُ وما مدّ من ظليل الرواق(١)

بارك الله في جهود شباب
بيديها مفاتحُ الاغلاق

---

(١) مشروع القرش مشروع اقتصادي قام به جماعة من الشباب وكللت مساعيهم بالنجاح ، وكان عماده تبرع المصري بقرش واحد ، فتجمع من المال ما أنشيء به مصنع (الطربوش) وقد افتتحت أبواب المصنع وتداولت الاسواق مصنوعاته في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣

عرفوا نعمة التعاون في الخير
ـر فوافوا به على ميثاق

فاحمدوا سعيهم وشدّوا قواهم
ما أبر اليقينَ من مصداق

البدارَ البدارَ للفضل والمجـ
ـد فهذا الميدان للسبّاق

أي عارٍ لمصرَ يا قومُ لو آ
بت جهودُ الشباب بالإخفاق

يا سَراةَ البلاد هيّا إلى المجـ
ـد فبئس الحياةُ فى الأطواق

يا شباب البلاد هـذا مجال
مستطابٌ لأكرم الأرزاق

فانشدوا الاقتصاد واسعَوْا إليه
واحملوا عبأه على الاعناق

يا شبابَ البلاد هيا إلى الجد
وزكّوا جهودكم بالوفاق

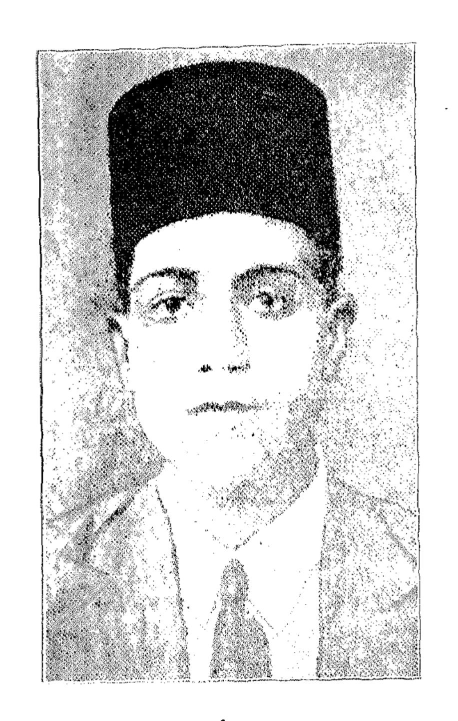
إن يكن في الغداة عيد جهادٍ (١)
فأضيفوا إليه عيدَ اتفاق

أنتمو عدّةُ البلاد وحصنٌ
لبنيها من المذلة واق

لا تراعوا ففى البلاد كرام
لن يضنوا بالفيض والإغداق

واغنموا بالولاء عهد مليك
لم يزل عهده حليف ائتلاق

(١) يشير الشاعر الى عيد الاستقلال وموعده ١٥ مارس
وهو اليوم التالي لليوم الذي اقيمت فيه الحفلة



ميشيل بعد أن صار رجلا (٥)

ميشيل

« نشرت الصحف فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ أن فتاة تدعى « هيلين » من مدينة الفشن — وكانت زوجاً لقس تحولت إلى فتى تام الرجولة ، فنظر المجلس الملي في أمرها ، وحكم بالفصل بينهما ، فتخلت « هيلين » عن شخصيتها النسوية ، وارتدت زي الرجال ، وتخيرت اسم « ميشيل » فوجه الشاعر إليه هذا الكتاب المفتوح يداعبه فيه ، ويعالج به حال النساء والشباب في هذا العصر : »

« ميشيل » خبرني - بربك - صادقاً
أي العهود لديك أسعدُ حالا
عهدُ الأنوثة ، وهو عهد ناعم
قد كنتَ فيه تجرُّ الأذيالا
أم حين قاسمتَ الرجال حظوظهم
وغدوتَ فيهم قائلا فعالا

إحدى العجائب ما أتيتَ ، ولم تزل
شتى العجائبِ بيننا تتوالى

***

« ميشيل » لا تعجب إذا ألفيتنا
في حيرةٍ ، نستخبرُ الأجيالا
ماذا نقمتَ من الأنوثة بعد ما
مدّت عليك من النعيم ظلالا
فارقت ماضيك الذى صاحبته
ردحاً ، فكيف رضيت عنه زوالا ؟
كالغصن كنتَ ، تثنياً ولدونة
كالبدرِ كنتَ ، ملاحةً وجمالا !
كم فتنة لك — كالغزال — رشيقة
سبت العقول ، وهزّت الأبطالا !

كم أحدقتْ بك أعينٌ مشتاقة
شهدت صدوداً مضنياً ، و مطالا

***

كانت مني أهليك حيناً أن ترى
أمّا رؤوما تنجبُ الأشبالا

وتحس عطف بنيك حين تحوطهم
فلم انثنيت تخيّب الآمالا ؟

ولم انصرفت عن العواطف طالباً
ما بين معترك الحياة نزالا

ولم ارتضيت عن النّعيم تحولا
وعن الهدوء مشقة ونضالا

وخلعت ثوب الدّل وهو محبب
للغانيات ، فهل إملت دلالا ؟

هلا رعيتَ ذمامَ من أوسعته

بَعدَ المودّة والوفاء ، ملالا

فتركته ينعَى تشدد دينه (١)

خدنَ الكآبة لا يجيب سؤالا

***

أتُراكَ قد أبصرت ما آلت له

بدعُ النساءِ غوايةً وضلالا

ورأيت أخلاقَ الحسانِ تبدّلت

فغدَا الحرامُ – متى – رغبن حلالا

وغدا الحياء عدوّهن تبذلا

فازددن منقصةً وسُؤنَ مآلا

---

(١) يشير إلى التقاليد الدينية التي لا تبيح للقس الزواج .

فأنِفتَ صحبتَهن فيما جئته

وشددْتَ - عن بيئاتِهن - رحالا

وحسبت أنك فى تحوّلكَ الذي

كابدته ستكون أنعم بالا !

***

هيهات ما منيت نفسك من مُني

سترَي حقيقتَهن - بعدُ - خيالا

ستري لداتك فى شبابهم غدَوا

يستمرئون الذلّ والإقلالا

شبوا على ترفٍ فإن ينزلْ بهم

خطبٌ شكوه وأعولوا إعوالا

زانت معاصمَهم أساورُ وابتغوا

- من دون ربّات الحجالِ - حجالا

ثارت عزائمهم وصوّح نبتهم
ومضوا إلى دركِ الشقاء عجالا

فاستقبل العهدَ الجديدَ بعزمة
تستسهلُ الآلامَ والأهوالا

ولعلّ عنصرَكَ القويّ مهذِّبٌ
من باتَ — فى لذّاته — يتغالى

وليَنتهِنَّ من يشكون ضعف شبابنا
أن النساء — هنا — انقلبن رجالا

وليحذرِ القومُ الذين بغوا فقد
ضرب الإله لنا بكَ الأمثالا

***

ميشيل حسبك من أمورك واعظا
لم تبق بحالك فى الزمان محالا

هل من معتبر

وجدت من يخبر يا سائلي
عن الهوى أو شغله الشاغل ؟

لا عاصم منه ، ولا مسعف
فيه ، ولا حان على ثاكل

كم فيه أهوال تضير الفتى
أخفها سوء أذى العاذل .

وكم هوان ذاقه ذو الهوى
فعاش عيش الأنكد الذاهل

في ذمة الأشواق آلامه
وما يلاقى من أسى قاتل

لا صبره عون على وجده
أو همه — ما عاش — بالراحل

واعجبًا للمرء في كِبره

يَذِلُ للمستضعفِ الصّائل

ويبذلُ الروحَ فداء له

وهو الشحيحُ الكف بالنائل

لو كانَ يَدري ذُو الهوي أنه

ومن سَبَاه، لرَدى شَامِل

وأن ما يلقاه من غبطةٍ

ليس سِوَي طيفِ كري زائل

وأن ما ينعمُ من لَذّةٍ

سينتهى بالموقفِ الهائل

وأن غاي الاملِ المفتدي

ذهابهُ وحَسْرَةُ الآمل

لمّا تصابي للهوي لبّه
ولا غوتهُ فتنُ الواصل
ولو دري الإنسانُ ما ينتهي
إليه حسنُ الأغيدِ الخاتل
لمّا افتدى بالنّفس حبّا ولا
أعلن شكواه ، سوي الجاهل
كم عِظةٍ للمرء فيما يرى
تَبينُ لولا زُخرُفُ الباطل



لن أنسى

ألا خلّياني أذرف الدمعَ هاميا
فليس لمثلي ان يرَى الصبرَ شافيا
أجل، واذكراني إن قضى الله بيننا
ببينٍ ، فاني لستُ للعهدِ ناسيا
ولا تعجبا إن أبعدَ النأيُ مضجعي
فكل فتى مثلي سيُصبحُ نائيا

***

خليليّ — والآمالُ لا تقنع الفتى —
قِفا، إنّ قلبي قد رمى بي المراميا
قفا حدثاني عن هواي هنيهةً
فذلك أمر فيه تخفيفُ دائيا

قفا عللاني بالتي كان ذكرها
أنيسي إذا الأيامُ أوحشن داريا

صدقتكما إن الهوى رائدُ المنى
على أن فيه ما يسرّ الأعاديا

فمن لفتاتٍ تسحرُ اللبّ فتنةً
إلى بسماتٍ تترك القلبَ عانيا

ومن نظراتٍ هُنّ أمضى من الظّبا
الى خطراتٍ كالنّسيم تهاديا

فيالكَ من عهدٍ لوَ ان ادّكارَه
معيدٌ إلينا نضرةَ العيشِ ثانيا

قُصاراي أن أشكو وليس بنا فعي
وهلْ يستميلُ الدهرَ وقعُ شكاتيا؟

خليلي ما أنسى — على بعد عهده —
زماناً تملّينا به الوصلَ حاليا

وقَولتَها لى ـ حين اسلس امرُها ـ
فَدَيتُك ، لو أجدَاك يوما فدائيا

ويوم حلَلْنا روضَةً ، طلها الندى
فلستَ ترى الازهارَ إلا حواليا(١)

أقمنا بها والجوّ صاف كأنه
قلوبُ العذارى مفعماتٍ أمانيا

عذيرى من الدنيا لقد جدّ جدّها
وأيقظت الاحداثُ من كان لاهيا

وكنتُ علياً بالخطوبِ ووقعها
فلما دهتني لم تُرَوّع فؤاديا

أجيب نداءَ الناسِ إن عنّ حادث
ولستُ أرى حرًّا يُجيبُ ندائيا

(١) حوالي الازهار المعجب زهرها

نقمة الحب

ضمنت مغزى قصة تمثيلية وقف فيها البطل حائراً
بين واجب المروءة وداعي الهوى

فتانةٌ أسرت نُهـا
ىَ بأى سحرٍ مستبين
لـكـنها أملٌ لمن
أنا فى مودّته رهين
وشعوره أني الوَفِيّ
وأنّـني نِعم الأمين
في روحه ما يأسر الا
إنسانَ من لطفٍ ولين
كم من همُومٍ فيِ الحيا
ةِ جـزى الخدِين بها الخدين

(مداين) رفقا ، بالفتى .

سلبت رويته الشجون

لم أنس عذب حديثك الـ

شافي ولا سحر الجفون

* * *

أمران كل منهما

خطر وروع لا يهون

حق الصديق ، وإنه

حق – على بعد – مصون

وهوى تملك مهجتي

ينمو على مر السنين

فإذا أجبت نداءه

أمسيت أجبن من يخون

وإذا صدفْتُ عن الهـوى

كان السلوّ من الْمَنون

* * *

(مدلين) لم يذبُل هوا

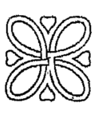
ىَ ، ولستُ فيه بالضنين

لكن رضيتُ من الهوى

بالداءِ والألمِ الدفين

ما قيمـة الدنيـا إذا

ما ضُيّعَ الشرفُ الثمين ؟



قصة أحمس الأول

كتب الأستاذ عادل الغضبان للمسرح المصرى رواية (أحمس الأول) أحد فراعنة مصر، وطارد الرعاة منها ، فنجحت فى المباراة التى أقامتها وزارة المعارف العمومية ، فأقيمت له حفلة تكريمية فى شهر مايو سنة ١٩٣٣ ودعي الشاعر للاشتراك فيها فعني بوضع هذه القصة شعراً قال :

حيّوا بأكرمِ منطقٍ وبيانِ
زينَ الشباب ونخبةَ الفتيانِ
عرف القضاةُ له سموّ مكانهِ
فقضوا له بالسبق فى الميدان

للهِ منطقُ «عادلٍ» في فصلهِ
سحرُ البيانِ، وقوّةُ الإيمان

أدنى لنا تاريخَ عهدٍ قد عفتْ
آثارهُ، فهو القصيُّ الداني

وجلا لنا وجهَ الحقيقةِ عن فتىً
نشرتْ محاسنه من الأكفان

***

للهِ «أحمسُ» في جلالةِ قدره
أحيَتْه خاطرةٌ، وحسنُ بيان

ملكٌ نماهُ المجدُ، واجتمعتْ له
صورُ الكمالِ وعزّةُ التيجان

عرض الجمالُ له ، وطافَ خيالهُ

في روضةٍ ملتفَّة الأغصان

شرب الهوى فيها نميراً صافيا

من كف غانيةٍ ورَخْصِ بنان

ورأى الحياةَ - بغير حبٍّ - نقمةً

فجرى لغايتهِ بغير عنان

وتنازَعتْه سَورةُ الحبِّ التي

تُغْري الشبابَ بفاتن الألوان

ولكم أدالَ الحبُّ من ذي سطوة

ولكم أذلَّ الحبُّ من سلطان

حتى إذا ملكَ الغرامُ قيادَه

ورمى به في لجَّة الأشجان

وبدا له حلمُ الوصالِ حقيقةً
يُروى بها مِن غلّة اللهفان

هتفتْ به الأوطان وهي رواسفٌ
في القيد تحت صوارم الفرسان

ألقَوا اليه زِمَامَها في موقفٍ
ناءت بكلكه قوى الشجعان

دخل الرعاةُ على الأُسُودِ عرينَها
فيه ، وعَاثتْ زمرةُ الطغيان

وتدنّست أرضُ الكنانة وارتوت
في عَهْدِهم بالبغي والعدوان

فتجاوبتْ أصداءُ مصر بصيحةٍ
كالرّعد ، هزت راسخَ البنيان

يا للبلادِ من العدوّ يسومها
خسفاً ، فتشقى بعد طولِ أمان

***

فتبددتْ أحلامُ «أحمس» وانقضى
ما كان يرقبُ من شهيّ أماني
ناجى فؤاداً قسّمته يدُ الهوى :
« ياقلبُ هل لك بالسّلوّ يدان ؟ »
وطني ! هواي ! تنازعا قلبي فما
رئيا له ، وهما به سيّان
أشقى الفوارس فارسٌ يغشى الوغى
وفؤاده ـ يوم الوغى ـ شطران

وَطني ! وما وَطني عليّ بهيِّن
أسُّ الفضائل نُصْرة الأوطان !

***

فاسأل — من جنبيه — قلباً دامياً
جَمَّ المشاغِل ، دائمَ الخفقان
وطوى بساطَ الأُنْس ، لم يحْفِل بما
يحويه من رَوْح ومن ريحان
قاد الكتائبَ في رَبيعِ حياته
للنّصر ، لم يرْهَبْ شَباةَ سنان
والنفس — إن شغلت بحملِ عظيمةٍ —
فازتْ ولو أن المنى القمران

***

لم يشهدِ التاريخُ أروعَ منظراً
من حزمه يوم التقى الجمعان

وقد ادلهمّ الخطبُ واغتر العدى
بعَتاده واعتز بالأعوان

وتجمّعوا فى حصنهم ، وكأنهم
أخذوا الأمان به من الحدثان

بينا يُدَبّر أمرَه متلهفا
للحرب مثلَ تلهف الظمآن

طلعوا عليه بغادةٍ مذعورةٍ
سحرتهمُ بجمالها الفتان

قالوا أصبناها تَعسُّ وترتمي
فى كلّ ناحيةٍ ، وكلّ مكان

هي سرّ أعداءِ البلادِ وما نرى
إلا الردى عُقبى الأثيم الجاني

فارتاع «أحمس» حين شاهد وجْهَهَا

وَتَمَلَّكَتْه لوعةُ الأحزان

وجد التي كانت نعيمَ حياتِه

قد ردّها الخذلان للكفران

فأجالَ ناظِرَه بحسرة حائر

وهو الذى لم يخشَ يومَ طعان

وهو الذى راض الأسود، وردّها

صرعى، تحاذر غضبة الإنسان

طافت به الذكرى فهاجت وَجْدَه

والذكرياتُ مثيرة الوجدان

إيه «نزيتا» ما صنعتِ؟ وما أرى؟

بعتِ البلادَ بأبخسِ الأثمان!

فتطلّعتْ في عـزةٍ ومهـابةٍ
وتكلّـمتْ في رِقّـة وحنانِ
رحماكَ « أَحمسُ » لستُ خائنةً ولا
بي عَنـْكَ من شغلٍ ولا نسيان
إن كان حظي في الهوى قد خانني
فرجَعتُ منـه بفادحِ الخسران
أو كان يأسي في هواي أذلني
يوماً ، فما زَلّت بيَ القدمان
لست ابنةَ النيلِ الوفيّ إذنْ . ولا
سقّـي أبي من مائهِ وسقاني
إن ابنةَ النيلِ الأبيّ أبيـّةٌ
في الخطبِ ، لا تمشي بقلبِ جبان

خُلِقَتْ ـ كما شاء الكمالُ ـ طهارةً
وتقىً وإخلاصاً وصدقَ جنان

حَطَّمتُ قلبي حينَ نازعني إلى
سوءِ الصنيعِ ولُذْتُ بالكتمان

ورضيتُ ـ من دهري ـ بجَدٍّ عاثرٍ
ومُنًى محطّمةٍ وقلبٍ عانِ

وطويتُ ـ حين طويت عهد سعادتي ـ
نفسي ، على أمرٍ عظيمِ الشان

شاهدتُ مصر على رباطةِ جأشها
وحماسةِ الأجنادِ والقطّان

أمستْ ضحيةَ عصبةٍ منهومةٍ
بالشّر بلْ هي عصبةُ الشيطان

فرأيت خُدعتَهم وتلك وسيلةٌ
معقودةٌ بالنُّجْحِ والرجحان
قد يرجح الرأىُ الشجاعةَ إن هما
وُضِعَا غداةَ الرّوع فى ميزان
فدخلتُ فى وَكْرِ الرُّعاة كأنني
فى ذِلةّ المضْطرّ للأذعان
أنسوا إليّ وقد تداول سمعَهم
مابثّ ألقى من أسى وأعاني
فختلتُ قائدَهم بلفظٍ ساحرٍ
وتخِذْتُه من أصدق الخلصان
منّيتُه بسعادةٍ موصولةٍ
حتى غدا كالقِدْرِ فى الغليان

لم يُخْفِ عني من دَخيلة قومهِ
أمراً ولو شئت الفدى لفداني
فإليك « أحمسُ » باب « إفريسٍ » غدا
طوعَ البنان ، فسر بغير توان
واقبل هديّةَ من فدتك بقلبها
وبروحها في السر والإعلان

* * *

فارتدّ « أحمس » صائحاً في قوّةٍ
هيهاتَ ذلك ليس في إمكاني
مهلا « نزيتا » لستُ ممن يرتضي
قنصَ الغنيمةِ من يدَيْ خوّان
لا خيرَ في نصر يجيءُ بحيلة
ألفخرُ عندَ تصادُم الأقران

ما كان « أحمس » بالخفيّ مكانُه
كلاّ ولا بالعاجز المتواني

لستْ ابنَ مصر إن يصب خيراتِها
مغتالُها أو تغدُ دارَ هوان

سأرى الرعاة غداً — وما أدنى غدٍ —
فى الحربِ ما لم تشهدِ العينان

* * *

فمضت « نزيتا » بعد ما قد أبصرت
من رأيهِ ما ليسَ فى الحسبان

تنوى معونتَه برغم إبائِهِ
أكرمْ بها فى الخطب من معوان

حتى إذا حُمّ القضاءُ وأصبحتْ
مهجُ الرعاة فريسةَ العقبان

واستقبلَتْ «أفريسُ» «أحمسَ» ظافراً
وتطهَّرت من حمْأة الأدران

ألفى «نزيتا» قد أتت في عَوْنِه
ما لا تفيه بَدائعُ الشكران

ورأى محاسنَها تفيضُ وقد بدا
نُورُ الوفاءِ بوجهها الضحْيان

نادى وقد هاجت لواعجُ شوقه
لكِ يا «نزيتا» غايةُ الاحسان

هيّا الى مجدٍ وحبٍّ خالدٍ
يُنسيكِ ما قاسيتِ من هجران

فتلفتتْ في حيرةٍ وتلهُّفٍ
كتلهفِ المقصوصِ للطيران

قالتْ ـ وقد حبسَ الهوى نبراتِها ـ
رفقاً فقد عقدَ الصنيعُ لساني

يهنيكَ «أحمس» ما بلغتَ من المنى
فاسلمْ وعشْ إنا لمفترقان

وارجع لزوجِكَ واغتنمْ في ظلها
صفوَ الحياةِ وراحةَ السلوان

وقضت بطعنةِ خنجرٍ في صدْرِها
أودت بها والحسنُ في الرَّيعان

***

هذي رواية «أحمس» وكفى بها
في صفحةِ الامجادِ من عنوان



الأستاذ يوسف وهبي (٦)

الشعر والتمثيل

طلع الممثل القدير الأستاذ يوسف وهبي ، على المسرح المصري ، في صيف سنة ١٩٣٣ بروايات تمثيلية فاضت بالعظات والعبر ، ولقيت من الشعب إقبالا وقدراً ، فأهدى إليه الشاعر هذه الأبيات :

هاتِ يا « يوسفُ » العظاتِ اللواتي
أيقظتْ من شبابنا النُّوّاما
كم مآسٍ رفعتَ عنها نقاباً
وخفايا كشفتَ عنها اللثاما
منطقٌ بيّنٌ ، وعلمٌ ، وفنٌّ
وعظاتٌ تقوّم الأفهاما

رُبَّ جُرحٍ أعيا الأساةَ تولَّيْـ
ـتَ - برفْقٍ - عِلاَجَه فالتاما
ربَّ داءٍ لمستَه ببَنَانٍ
علِمَ الطّبّ كيف يَشْفي السّقاما
وطبيبُ النفوسِ أجدى على النا
س ، وأسمى في المصلحين مقاما

***

كم شَهِدْنا التمثيلَ في مصرَ فوضى
ينْشُرُ المُوبِقَاتِ والآثاما
ويردُّ النفوسَ لليأس ، حتى
ما نَرى في الحياةِ إلا ظلاما
كان هَمُّ الممثل الفذّ أن يكـ
ـسبَ مالاً ، وإنْ جَنَاهُ حراما

ليس عاراً عليه أن يأبَى العـا
ر ، مُسيغاً في ذوقه الأوهاما
يحسبُ الفن أن يُزوِّرَ وجهاً
لم يَصُنْه ، وأن يصوغَ كلاما
معرضٌ من مساوئٍ ومخاز
حَبِطَتْ غايةً وساءت نظاما
نسبوها للفَنِّ ظلماً ، وحاشا
أن نرى الفنَّ مِعوَلاً هداما

***

إنَّ دارَ التمثيلِ مدرسةُ الشعـ
ـب ، يرى فيه قُدْوةً وإماما
عرف الغربُ قدرَه فأقاموا
صرحَه عاليا ، فعزَّ مراما

فتقدَّمْ إلى الأمامِ ، فانا
قد عهِدنا فى خُلقِك الإقداما
واقتبِسْ من محاسِن الفنِّ فى الغر
ب ، وأرهف، فى حربك الأقلاما
واغْزُ فوضى الاخلاقِ في مصرَ بالحـ
كمةِ ، وانشُر – في ساحها – الأعلاما
وامض للمجدِ ، فى أناةٍ وحزمٍ
واحتمل في جهادِك الآلاما
حمد الناسُ ما صنَعتَ ، فزدهم
معجزاتٍ ، تطاولُ الأعلاما
أمِن الفنُّ من صروف الليالى
حينَ ألقى إلى يديْك الزماما

نفس حرة

رضينا من الأيامِ ما صنعتْ بنا

ولم يُرضِها أنا لقينا بها الضرّا

فلله نفسٌ حرّة لا تهيجُها

أذاةٌ ، ولا تُفشي الخطوبُ لها سرّا

إذا رضيتْ كانتْ على الناس رحمةً

وإن غضبتْ لم تحمل الحقدَ والمكرا

صفتْ كزلالِ الماء ـ لونا ورقّةً ـ

وطابت ، كطيب العود ـ إن يحترق ـ نشرا

تراءتْ لها الدنيا كأبشعِ ما يُرى

فما احتدمت غيظاً ، ولا اضطرمت جمرا

سواءٌ عليها نعمةٌ تبعث المنى
فتحيي بها ، أو نقمةٌ تبعثُ الشرّا

وإن هي لم تخلُق إلى الصدر منفذاً
فما ساءها ـ في اليأس ـ أن تلجَ القبرا

تمر بها الآمالُ حسرى كليلةً
فتحمدُ ما تلقى ، وتقنعُ بالذكرى

ضمنتُ لها أن لا تمسَّ دنيّةً
وقد ضمنتْ لي أن تُسيغَ ليَ الصبرا

فياويحَ نفسٍ لو تكشّفَتِ المنى
عن الحق ، خالت في تكشفها أمرا !

هل العيشُ إلا ساعةٌ إثرَ ساعةٍ
تمرُّ فتطْوي في تصرّمها العمرا

أو الدهرُ إلا صاحبٌ جدُّ خادع
تظن به عُرفا فيُبدي لك النُّكرا

الى هاجرى

يا حاجبا طيبَ الـكرى عن ناظري

أنصفْ ، فديتُـك من ظلوم قادرِ

يهنيـكَ مني أنّ طرفيَ ساهرٌ

أبداً ، وقلبى ماله من عاذر

ولشدّ ما قاسَتْ عُيُونى بعد ما

نفدَت دموعى ، وهي أقوى ناصر

كم ليلةٍ أفْنَيتُها فى حسرة

أشْـكو ، ويُعييني تطاب هاجري

فأقول : هل للحب ما يُشْـفىَ به

أم هـل لليلـة نأيهِ من آخر

لم نقْضِ من عهد الصبا إلاّ كما
يقضى محبٌّ من خيالٍ زائر

***

أصفيكَ ودّاً رقَّ حتى إنّه
كادَتْ ـ لِرِقَّته ـ تَشِف سرائري
لو مرّ بالغُصن اليَبيس أعادَه
فى نَضْرَةِ الغُصْنِ الرّطيب الزاهر
تحلو به الايّامُ وهي مريرةٌ
وتهونُ فيه أذاةُ كل مكابر
ولقد علمتَ وأنت أصدقُ فطْنَةً
أن الهوى يغذو فؤادَ الشاعر
فأكادُ ـ لولا أن يُعَنّفَ كاشحٌ ـ
أغلو وأطْنِبُ في سَناكَ الباهر

وأعودُ أستبقيكَ خِيفَةَ أن أرى
لَكَ مُغضباً في باطنٍ أو ظاهرِ
فأجِلُّ حُسْنكَ أن أفوهَ بذكرِه
وأصونُ سرَّكَ أن يمُرَّ بخاطري

***

يا مبعداً عني سناءَ جبينِه
يَهنيكَ أن أحيا بجَدٍّ عاثرِ
ومكلفاً نفسي أسىً لا ينقضي
أجزاءُ قلبي أن يسهد ناظري ؟
أهون بقلبٍ لم يَفضْ حُبًّا ولم
يُسعفْه عند النأيِ فيضُ محاجر
إنا لمشتركان في حكمِ الهوى
فلمْ انفردتَ بكل حكم جائر ؟

عدمتك يا قلب

ونفسٍ تتوقُ إلى وصلها
فتغرى العيون بدمعٍ صبيب

وقلب يحنّ إلى ذكرها
ويخشى ملامةَ واشٍ مريب

فلا النفسْ عن حبها تنثني
ولا القلبُ ينسى الهوى أو يثوب

وليس بمُجدٍ بكاءٌ إذا
رجوتَ على البعد وصل الحبيب

فيا قلبُ : لا أنت معطًى مُنًى
ولا أنتَ مُخْفٍ هواكَ العجيب

عدمتك ياقلبُ كيْ أستريحَ
فأنت مثيرُ الأسى والكروب

هل من سلام

لها الله من حسناءَ لا تحفظُ العهدا
أأوسعها حبًّا فتوسعني صدا !

وكم موقف للعتبِ بيني وبينها
وكم هجرت عمداً ، وكم أخلفت وعدا

أطيع وتعصي ، ثم تنهى فأنتهي
وقد وثقت أني خُلقتُ لها عبدا

وما أنا بالزاري عليها وإن جنت
عليَّ وسامَتْني القطيعة والوجدا

سلاما حياةَ العاشقين ورحمةً
لعلك ان سلّمتُ أن تحسني الرّدا

فيحيي فتى يَفديك بالروحِ والمُنى
وينعَمُ من قربٍ كما كابدَ البعدا

الى بعض نفسي

بنفسي التي أبدت ملالاً ، حسبتُه
دلالاً ، فلم أجْزَع ، ولازمني الصبرُ

تجنّبْتُها ـ لا عن قلىً وملالةٍ ـ
وكيفَ لِمثلي أن يَلجّ به الهجر ؟

وخففتُ من وجدي بها ، ولو انه
مرادٌ لعمري قد يضيقُ به الصدر

وشيمةُ ذاتِ الخدْرِ صَدّ محبها
إذا أمنت ألاّ يحوله الغدْر

وهل نسيتْ عهداً تقضى كأنه
حديثُ المُنى، او رَوْضةٌ جادها القطر

تجاذبني فيه الحـديث ، وتتقى

بمعصَمِـها الواشين ، يا حبذا السترُ !

فإن نـكرتْ ذاكَ الزمان فأنني

لَيُطْرِبني ألا يزال له ذكر

***

فيا جنة الدنيا التي طابَ نَشْرُها

ونالَ من الألباب مَنْظَرُها النضر

ويا درةَ العقـدِ الفـريدِ إضاءةً

ويا بدرَ تِم لم ينل حُسْنَه البدر

ويا بعضَ نفسي أيّ ذنبٍ جنيتهُ

عليكِ ؟ وهلاّ كان منك ليَ العذر ؟

أدب الكيلاني

أتحف الأستاذ كامل كيلاني الأدب العربي ، بثمار يانعة من القصص الرائعة للاطفال فخدم بهذا مكتبة الطفل ، فبعث الشاعر إليه بهذه الأبيات على صفحات المقطم استزادة لأدبه ، فأبى الأستاذ إلا أن يرد عليها ، ولولا أن هاتين الكلمتين نشرتا في الصحف لعددناهما من الخصوصيات .

قال صاحب الديوان :

أبا « مصطفى » هات البيان المهذّبا
فأكرمْ به للناشئين مؤدبا
عرفتُ لك الفضلَ الذى لا يردّه
مقالُ جحودٍ ما أضلّ وأكذبا !



الأستاذ كامل كيلاني (٧)

وأكبرتُ فيك العزم والحزم والحجى
ورأيًا حصيفا يستشفّ المغيبا
طلعتَ على الآدابِ طلعةَ ماجد
فكنتَ لها حصنا وكنت لها أبا
شأوتَ كرامَ الكاتبين ، فأنصتت
مسامعُ أقوام أطالوا التعجبا
وما عجبٌ أن يبصروا البدر هاديا
ولا عجبٌ أن يسمعوا الشدو مطربا
فزدنا ـ بما أوتيتَ علمًا وحكمةً ، ـ
وأطلع علينا ـ من سمائك ـ كوكبا

وقال الأستاذ كامل :

أخي لم تزل تولى الجميل محببا
وتشدو بألحان الوفاء فتطربا

تفضلت بالمدح الذى أنتَ أهله
وأسديت فضلا مبدئا ومعقبا
وأكبرتَ فى العزم والحزم والحجى
ورأيا حصيفا يستشف المغيبا
وفى الحق والإنصاف أنك واهب
صفاتك تسديها إليّ تحببا
وقد كنتَ في مرآة نفسك رائيا
فضائلك الحسنى وعنهن مُعْربا

* * *

ويا مصطفى هبْني بيانك لحظة
أصفك به إن عقّني القولُ أو أبى
أراكَ الفتى كلّ الفتى فى عزيمة
وشيخاً ـ إذا ساس الأمور ـ مجربا
فلا زلتَ ذخرا للوفاء ، ولم تزل
تغنى بألحان الوفاء فتطربا



الأستاذ محمود أبو الوفاء (٨)

بعث شاعر

ظل الشاعر « محمود أبو الوفاء » مغموراً بعيداً عن شئون الحياة ، راسبا تحت عجاجها المصطخب ، كالدرة أطبقت عليها الصدفة ، رازحا في قيود نكبته التي دقت فيها ساقه ، حتى تجمع أصفياؤه في رابطة الأدب العربي ، فعقدوا الخناصر على بعثه ، فأقاموا له حفلة تكريمية ، بمسرح حديقة الأزبكية ، كانت مهرجانا للأدب الحي ، وكان من آثارها رحلة أبي الوفاء إلى باريس ، تلك الرحلة التي استرد فيها ساقه ، بل كان من آثارها أن سطع ضياء فضله ، فطلع على الناس بأنفاسه المحترقة التى أنار بضوئها صفحات ديوانه وكشف بها حقيقة نفسه .

وقد ساهم صاحب الديوان فى هذه المهمة الأدبية وكان له نصيب في المهرجان فألقى هذه الكلمة :

أبا الوفا ، أفتني فيما سهرتُ له
وأتعبتني — في إدراكه — الفكرُ
حقيقة ما أرى ، أم هذه صورٌ
تطوى ، كما طويت — من قبلها — صور
أغيّر الخلق في هذا الزمانِ فلم
يصبح مدى همه أن تدفن البدر
ظلّت حياتك مقياساً نقيس به
ما كان يخبؤه للنابغ القدر
كم بت تهمس في سمع الزمان بما
أوحت إليك به الآلامُ والغير
من كل فاتنةٍ معنىً ، وساحرةٍ
لفظاً ، يحن إليها السمعُ والبصر

حتى بُعثتَ فقلنا : تلك معجزة
لولا وفاؤك ، لم تهتِفْ بها السيرُ

شكوى الأبيّ تلقّاها ذوو همم
ناداهم الفضلُ والإخلاصُ فابتدروا

رأوكَ تمشي الهوينَا ، فابتغوا قَدَمَاً
قِوامها الذهبُ الإبريزُ ، لو قدَروا

أكرِمْ بها صيحةً باتتْ تجاوبُها
تلكَ النفوس التي لم يشقِها البطر

* * *

حييتِ «رابطةَ الآدابِ» من نفرٍ
همُ الملائكُ لولا أنهم بشر

هتفتِ بالأدبِ العالي فما لبثت
أن جاوَبتْ صوتكِ الأوضاحُ والغُرر

أسوتِ جرحَ كريمٍ فاتَه أملٌ
حتى طلعتِ فوافى الظلُّ والثمرُ

هل كان ميلادُ «محمود» سوى أثرٍ
مما دعوتِ إليه ، بُورِكَ الأثر

فاليومَ يأمن أنْ تغشاهُ عاصفةٌ
من الحوادثِ لا تُبقى ولا تذر

***

أبا الوفاءِ حسبُ نفسٍ حرّةٍ شقِيتْ
حيناً من الدهرِ ، أن يُقضى لها وطر

قد آنَ للدمعِ أن ترقا مساربُه
وأن يحولَ صفاءً ذلك الكدر

فاحسبْ لماضيكَ ماشاهدت من عبرٍ
إن الحياةَ كتابٌ كلّه عبر

واطلعْ على الناس بالآياتِ بينةً

واجهرْ بما باتتْ الآدابُ تنتظرُ

وانْظمْ عقوداً من الأشعارِ زاهيةَ

هيَ الكواكبُ ، إلا أنها درر

وسرْ إلى المجدِ ، لا صخرٌ تحاذره

فيما تحاوله ، وليهنكَ الظفر (١)

---

(١) يشير إلى قول أبي الوفاء في إحدى قصائده مخاطبا صاحب البؤساء فيكتور هوجو :

« يا صاحبَ البؤساءِ جاءك شاعرٌ

يشكو من الزمن اللئيم العاتي

لم يكفه أني على عكازةٍ

أمشي فخطّ الصخر في طرقاتي »

آية الشاعر المبعوث

أصدر الشاعر « أبو الوفاء » بعد بعثه ديوان شعره الذي أسماه « أنفاس محترقة » فأرسل صاحب الديوان يحييه ويستزيده

لله أنفاسك ـ في وقدِها ـ
كم برّدت قلبًا شديدَ الضرامْ
والعهدُ بالأنفاسِ ـ إن تحترقْ ـ
تحمّل النفسَ الهمومَ الجسامْ
أحبِبْ بما أظهرتَ من آية
فيها شفاءُ العاشقِ المستهامْ
إن كانَ هذا البؤسُ فى حرْبه
أراكَ في الضراءِ مرَّ الخصامْ

أو كانَ هذا الدهرُ فى كيدهِ
أذاقَكَ الكربَ وذلَّ السقَامْ
فطالما أنفذْت فى أنةٍ
سهماً إلى الأيام ، لا كالسّهامْ
وطالما شاهدتَ من سرّها
ما لم تُشاهدْه عيونُ الأنامْ
ألهمت يا « محمودُ » فى كنهه
وكشفه أمراً عزيز المرامْ
وإن تكن أقلاتَ فى وحيهِ
فانما أوتيتَ خيرَ الكلامْ
فاغفرْ لهذا الدهر زلاتهِ
واطلع على الدنيا بوحي السلامْ

في العتاب

نفس الشاعر نزّاعة إلى اصطفاء الأصدقاء ، توّاقة إلى الاستمتاع منهم بخالص الوفاء ، وقد خاب ظنه في واحد من أصفيائه ، فصاح به هذه الصيحة . واطلع عليها بعد نشرها الشاعر محمود أبو الوفاء فرددها في كلمة مشجية ، آثرنا أن نثبتها بعد كلمة صاحب الديوان :

في العتاب

سماعاً فهذا العتبُ لا ريبَ نافعُ
لعلّ صفاءً كان بالأمس راجعُ
سرى الودُّ ما بيني وبينَك خالصاً
من الريبِ لم تَنفُذْ إليه المطامع

بربّك هل تنسى زمانا محبباً
كلانا به في روضة الأنس راتعُ

إذا ذكرته النفسُ فاض حنينُها
وأعقبَ ذكراها الدموعُ الهوامع

ومجلسَنا بين الرياضِ وزهرُها
يفوحُ عبيراً والزمان موادع

تظلّلُنا الأغصانُ ـ وَهى وَريقةٌ ـ
وتطربنا الأطيارُ وهي سواجع

فذلك عهد ـ أرجع الله خيره ـ
ودامتْ له فى القلب ذكرى تُرَاجِع

***

كذلكَ كُنا ثم غيّرَ عهدَنا
صروفُ ليالينا ، وما حُمّ واقع

وإنك أدري بالذي قد صنعته
بليلتنا إذ جاذبتنا النوازع
فبتّت حبال الوصل بعد توثّق
وقطّعها سيف — من الخبّ — قاطع
عجبت لسعي الدهر ما انفكّ دائباً
يسيء إلينا خساسة ويخادع
فصرت وآمالي مضيعة سدًى
أهمّ فيثنيني من الحزن مانع
أبيت حذارَ البينِ غضبانَ آسفاً
(ويجمعني بالليل والهمّ جامع)
وإن صديقَ المرءِ إن كان صادقا
جديرٌ بأن تحني عليه الأضالع

***

فياصاحباً ما سؤتُهُ ثم ساءني

وأصبح حقّي عندَه وهو ضائعُ

لقد كنتَ — إن أخفقتَ سعياً — وجدتني

لتبلغَ ما قصّرتَ عنه أسارع

فبالله ما هذا الجفاءُ الذي بدا

ألم يكُ لي — فيما حبوتُك — شافع

وما المنّ مما أبتغيه وإنما

يضيق بهمي الصدرُ ، والصدر واسع

ففرّجْتُ عن نفسي بإذكارك الذي

سبقتُ إليه ، علّه لك رادع

وهبني جنيتُ الذنبَ — لامتعمداً —

فهلاّ عفا ذو الهمّةِ المتواضع

وراجعني ـ فيما أتيتُ ـ لعلّني
أقرّ بما يفضي به أو أدافعُ

***

عزاءً لنفسي إذ نَقضْتَ عهودها
فخلّفْتَني تنبو بجنبي المضاجع

على أنني ما كنتُ فى حاجةٍ إلى
نَدَاكَ ، ولا أني ـ من الخوف ـ جازع

وكانَ بوُسعي نَفرَةٌ ، غير أنني
ثنى من فؤادي أنه لك تابع

وبُقْيَا وِدادٍ لا أزالُ أصونُها
تُعَاصِي الوفا حيناً ، وحيناً تطاوع

فعدِّ عَن الماضي فإني نسيته
وما أنا للواشي وإن لجّ سامع

وأمحضُكَ النصحَ القويمَ مرجيا
لخيرٍ ، فماذا أنت بالنصح صانعُ
أمتخذٌ عتبي إليك ذريعةً
فتفلحَ في ردِّ الوداد الذرائع ؟
ترى النأي لم يبعدك عن منهج الهدى
فأنت مُلبٍّ ما دعوتك طائع
ألا إن هذا الودَّ عند قلوبنا
ودائعُ فاحذر أن تَضيعَ الودائع .

أما كلمة الشاعر أبي الوفاء ، فقد أدى بها رسالة الحياة كما يراها بعينه ويحسها بقلبه ، وهى أصدق دليل على عمق نفسه ودقة حسه ، وأبلغ أثر له فى الصداقة والصديق قال :

رسالة الحياة

الى صديقي الشاعر ...

هذا صدى ترجيعك في عتابك ، لعله يطمئن من نفسك، ويرضيك عن أحبابك .

تحيّرَ يَعْصِي دمعَه أم يُطاوعُ
وأرّقَه يَنْسَى الهوَى أم يُراجعُ

تجيش به الآمالُ ليس بقادرٍ
عليها ، ولا عنها هوى القلبِ نازعُ

أفى الحقّ أن الحب لم يَعْدُ فى الورى
سوى أنه خِبٌّ وإلا مَطامع

وأن مَودّاتِ القلوبِ تحوّلتْ
فما هي إلاّ للخِداعِ بَراقعُ

إذا صح ما قالوا ففيمَ طيورُها
تُغنّي بواديها ؟ وفيمَنْ تساجعُ ؟

***

ألكَ اللهُ ياقلبي ترفرف ساجعاً
وتخفق غرّيداً وما لكَ سامعْ !
ثوابُكَ عند الله فيما صنعتَه
وما رُحتَ تُزجي للهوى وتُصانعُ
ويَشهدُ لولا الصدقُ فيكَ طبيعةً
لما جاء مثلي للهوى وهو تابعٌ !

***

همو يحسبون الحبَّ ضعفاً ، وإنما
همو الناسُ مخدوعٌ وآخرُ خادعْ
يسيرون في ركبٍ ضليلٍ ، وربما
غدا ركبُهُمْ هذا وحاديهِ ظالعُ

وأحسب أن الحب للنــاسِ قدرةٌ

ولــكنْ شعاعُ الضوءِ للعينِ رادعُ

وبعضُ عيونِ الناسِ تَقْـوَى أشعةً

على بعضها ، والنــاسُ شَـتّى طبائعُ

فياطيرُ ساجعْني كما شئتَ فى الهوى

وشــاءتْ لنا فيه الأماني السواجعُ

علينــا نؤدّي للحياةِ رســالة

هي الحبُّ حتى ليس للحب مانعُ

فليس لهذا الناس داءٌ سوى القِلى

وليس لهم شافٍ ـ سوى الحبّ ـ ناجعُ

كذلك أدعو الطيرَ تحيــا هواتفًا

مغرّدةً ما عاشَ فى الروضِ ســاجعُ

الجزاء

تجنّى صديق على الشاعر ، فبدت له صور من الصداقة كانت مجهولة ، فقال يستعدى عليه الوفاء :

يا معرِضينَ عن الشّكوى بربكمو
قلوبكم تلكَ ، هل قُدَّتْ من الحجر

أتنظرونَ لِقلْبى وهو محْترِق
وتُعرِضونَ ، وقدْ أوْفى على الخطر

هذا جزاءُ فتىً ما خانَ عهدَكُمو
جفوْتُموه فلَمْ يرجعْ إلى الحذر

وطالما سرّكم منه تعرّضُه
من دونكم ، لصروف الدهر والغِيَر

فالآن أسلمتموه للنوى ، وغدا
علَيهِ مِنكم صدودٌ غيرُ منتظرِ

***

يا ضلّةً لليالى كَمْ أمِنْتُ لَها
فَبَدّلت صَفْوَها المرجُوّ بالكدر
وكم تخيلتُ نعماها مُواتيةً
وكانَ ما خِلْتُه رؤيا بلا أثر
هل للصداقةِ من أخلاقها شَبَهٌ
تبدي الجميلَ وتُخْفى نابيَ الصور
ليهنِكمُ ما أصبتُم من مسالمةٍ
ولا عليكم إذا استسلمت للضجر
ستندمونَ إذا ما الدهر نازَلَكمْ
وتَعْلَمُون بلاء الصّادِق الخبر

الى أبوى

•

لعلّ أول ما يؤمن الشاعر به من خلال الخير، صلة الرحم وبر الوالدين ، وقد وقعت جفوة ، وغامت سماء الصفاء ، فلم تتكشف إلا بهذه القولة الصادقة .

حناناً فما الشكوى لغيرِكما عدلُ
ورُحما كما قد ناءَ بالكاهلِ الثّقْلُ

أأرضى انفصالا منكما وأنا الذي
أرى غضبَ الآباءِ يتبعُه الذل

ويهنأُ عيشى إن عمدتُ إلى الأذَى
وجئتُ أموراً ضلّ فى قصدِها ـ العقل

ألسنا سواء ، وثَّق الدم بيننا
أواصر قربي ليس يفصمها حلُّ
وهل أنتما إلا سراجان أهتدى
بنورهما ، حتى تُضاءَ لىَ السبل
فلولا كما لم ألْقَ في العيشِ نعمةً
ولا عُدَّ لى رأى ، ولا بانَ لى فضل
همو حسدونا ثم خُيّبَ سعيُهم
وشُقّتْ صدورٌ منهمو حشوُها الغِل
فلا سَلِموا من حادِث الدهرِ إنهم
مَضى بهمو فيما يُنَفّرِنا القول

***

أَقِلا عتابي بارَكَ اللهُ فيكما
ولا تُذكراني بالذى كانَ من قبلُ

فذاكَ طريقٌ ما قصدتُ سلوكَهُ
ولكنْ شفيعايَ الحداثةُ والجهل

وإنْ أنا لم أجهدْ لنيلِ رضاكما
فلا عزَّ لى جاهٌ، ولا ضُمَّ لى شمل

ولا صَحِبَتْنى همّةٌ جدَّ سعيُها
إلى المجد، تأبى أنْ يَكونَ لها مثل

ثَكِلْتُ شبابى. والشبابُ مضنَّةٌ
إذا ساءكم منى وضرَّكم فعل

وهذا ولاءُ ابنٍ يُرَجّى رضاكما
فكونا كما تَرْضى الأُبوّةُ والعدل

ولا تُشمتا بي الحاسدين فقد بغَوْا
وما سئموا سُوءَ المقال ولا ملوا

إلى سعاد ابنتى

بمناسبة نجاحها فى امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية فى صيف سنة ١٩٣٢

هيّاً « سعادُ » إلى العلا مشكورةً
ميمونةَ الروحاتِ والغدواتِ
هذى ثمار الجد أزهرَ نوْرُها
فاجنى هنيئاً أطيبَ الثمراتِ
جاوزتِ مرْحلةً فدونك غيرَها
كم دون غايِ العلم من خطواتِ
دار الزمانُ فأصبحتْ ظبياتُه
تبرزنَ للآسادِ فى الأجماتِ



سعاد الماحي (٩)

دار الزمانُ فسابقتْ فتياتهُ
فتيانَه ، فسبقنَ للغـاياتِ
كلٌّ يجاهـد فى سبيـلِ حياتِه
إن الجهاد قوامُ كلّ حياة

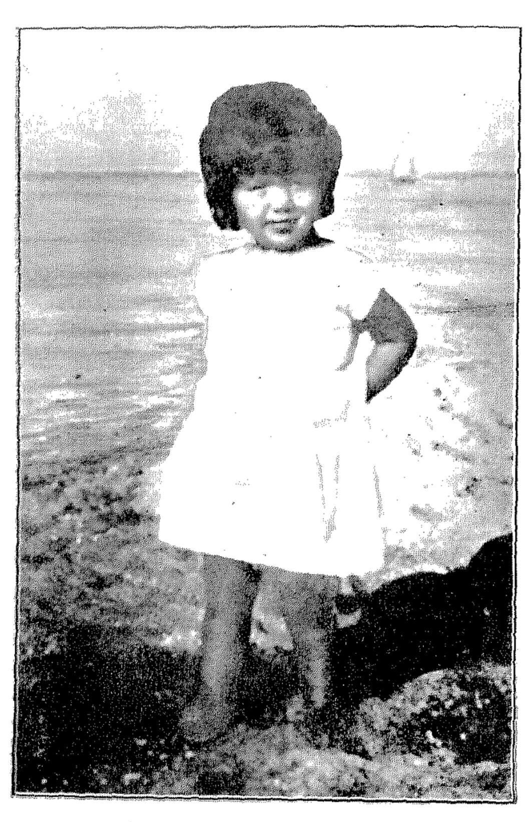
***

فاسعَىْ إلى المجـدِ الذي تبغينه
فسبيله مأمونة العثراتِ
الدين والعلمُ الصحيحُ كلاهما
نورٌ يقيك مواطِنَ الشّبهات
ومكارم الاخلاقِ أفضل عدّة
لك في الشدَائـدِ ، بل أعزّ قناة
فخذي الفضيلةَ للسموّ وسيلةً
تاجُ الفضيلة حلية الفتيات

إلى روح ابنتي

فجع الشاعر فى صغرى بناته « هدى » وهي فى الثالثة من عمرها ، وكانت ريحانته المنوّرة وعلالته المروّحة ، وكانت أول درة افتقدها ، فسكب عليها هـذه الدمعة

لِمَ عجلتْ نحوَ المنونِ خطاكِ
يا وردةً سَلمتْ من الأشواكِ
يا زهرةً ، ما كانَ أروعَ طيبَها
فارقتِني ، فحُرِمْتُ طيبَ شذاكِ
لما زها منك الجبينُ ، وأينعت
فيكَ المنى ، جاء الردّى فطواكِ



هدى الماحي تنشق آخر نسمات الحياة على شاطىء الاسكندرية (١٠)

نُصِبت حبائِله على عجلٍ ، فلم
يلبثن أن علقَتْ بهن يداكِ
ضاقتْ بكِ الدنيا وكم بدر وبها
من آثم .عاتٍ ومن فتّاكِ
أنت البريئةُ كيفَ عاجلكِ الردى
ونأى بجانبه عن السفاكِ
كانتْ مناىَ سعادةً تَلقيْنَها
فى غبطةٍ ، ومناىَ كنّ مناكِ

* * *

قالوا السلو ، فقلت : ليسَ بنافعى
أنساكِ ! لا . هيهاتَ أن أنساكِ
هل كانَ يُسعدني ويبعث همتي
إلا رضاكِ ، وقد فقدتُ رضاكِ

أو كان يُفرحني ، ويؤنس وحشتي
إلا ابتسامة ثغرك الضحاك

***

ماذا أقولُ لسائليّ وكلّهم
متوجع ، لو يستطيعُ فداك
أمٌّ تراجعني ، دفنتَ هدًى ؟ وهل
أسلمتها لقطيعة وهلاك ؟
هي قطعة مني تحيّفها الردى (١)
بل درة رُهنت لغير فكاك
وأخٌ يناجي أخته في حسرةٍ
وكلاهما بادي الفجيعةِ شاك
يَرْنُونَ فى فزع إليّ ولهفةٍ
أنقذ « هدى » وقُواي مثل قُواك

(١) تحيفها تنقصها واقتطعها

وهَـنَـتْ على رغم الجهودِ فخانني
جـلدٌ تشَـدُّ به القوى ، لولاكِ
قالوا هي الصغرى فلا تَهلِـك أسى
واصبرْ ، وما الفضلى لديّ سواكِ
جَمَـدت دموعي فهى غير مطيعةٍ
في لهفتي ، لكـنّ قلبي باكِ
أولاكِ لم تسعفْ بمـا أماتَه
فتهنئي بالخـــير في أخـراكِ



الذكرى

افترط الشاعر ابنته « هدى » فرثاها بقصيدته المتقدمة ثم انقضت أيام وأعوام ، وأقبل العيد ، فزار قبرها فعاودته الذكرى ، واستروح منها نسيم الطفولة البريئة فبالل ثراها بهذه العبرة :

كبدي ، عليكِ تحيتي وسلامي
هذا مُقامكِ ، هل عرفتِ مُقامي ؟
أمضى القضاء إليك سهماً نافذاً
قرّتْ ذؤابته بقلبي الدامي
وطواكِ ـ أطهر ما تكون طفولةً ـ
فتركتِني للسهد والأسقامْ

ها أنتِ مشرقةُ الجبين ، وإننى

لأرى ابتسامة ثغركِ البسام !

هذا سناكِ — كما عهدتُ — مبدّداً

عن ناظريّ ، حواليكِ الإظلام !

هذا حديثُكِ لا يزال كعهده

ملء المسامع ، مُشْجِيَ الأنغام !

هذا خيالكِ ظلّ يصحبُ خاطري

لم يجفني فى صحوتي ومنامى !

* * *

إني أشمُّ عبير أنفاسٍ سرى

كالزهر حين تفتّح الأكمام

إني أحسُّ حنانَ قلبكِ صارفاً

عني الهمومَ ، مضيِّعاً آلامي

لا السمعُ يكذبني ! ولا عيني ترى

حلْماً يزولُ كذاهبِ الأحلام

لا الحس يكذبني ! ولا نفسي غدتْ

نهبَ الظنونِ ، فريسةَ الأوهام

لكنَّ روحكِ ما يزالُ مرفرفا

متمثّلا لِيَ ، آخذا بزمامي

فأشم منكِ شذى عبيرك ساطعًا

وأراكِ رغم جنادلٍ ورجام

ويلذُّ سمعي من رَغامِك نغمةٌ

كحفيفِ أجنحةٍ ، وسجعِ حمام

لله روحك لم يَنلْ منها البلى
في حرصه ، ما نالَ من أجسام
كنتِ الملاكَ تَسامياً وطهارة
فالآنَ عدتِ إلى علاكِ السامي
بين الملائكِ تنعمين ، وحبذا
لكِ صحبة من طاهرين كرام

***

العيدُ جاء ! فما نعمتُ بعوده
هل فيه غيرُ تحرّق وأُوام ؟
أم فيه غير الذكريات تَهيجُها
— رغم التأسّي — دورةُ الأعوام
دمعٌ يسيلُ وأنفسٌ ملتاعةٌ
لم يَشفِهنَّ تطاولُ الأيام

عجبًا أيذوي العودُ فى إبّانه
ويغيبُ وجهُ البدرِ ليلَ تمام

هي آيةٌ للناس ، بلْ هي حكمةٌ
لله قد جلّتْ عن الأفهام

إنى عرفتُ بها الحقيقةَ والهدى
فرضيتُ من عيْشي بالاستسلام

* * *

الموتُ غايةُ كلّ حيّ ، يستوي
فيه الجبانُ ، وثابتُ الأقدام

كم مشفق يعيا بردّ سهامه
هيهاتَ يسلمُ والمنونُ الرامى

فلكلّ عمر ما تطاولَ ساعةٌ
ولكلّ نفسٍ موعد لحمام

كتاب الاغاني

كتاب الأغاني لأبي « الفرج الأصفهاني » كنز ثمين فى الأدب العربى ، صحبه الشاعر ردحا من الزمن ، فألهمه فى وصفه كلمة ، لعلها توفى بعض حقه عليه :

ربَّ سِفْرٍ لزمتهُ فأراني
معجباً مطربا من الحسناتِ
حسنه كالربيع أقطف منه
كل ما أشتهيه من زهرات
أينما كنت فهو خيرُ جليس
يتراءى في أجمل البسمات
شفَّ لطفاً كنفحةِ الطيبِ تحيي
حين تسرى في أروح النسمات

موردي ـ إن ظمئتُ ـ بل هو أشهى
لفؤادي من أطيبِ الثمراتِ
طاقةٌ من أزاهر ، وفنونٌ
من جمالٍ ، وألفةٌ من شتات
جهد فرد ، ويا لهُ جهد فرد
حسبه أن ينوء بالعثرات !

***

هو كنزٌ ، أفنى الليالى فى جمـ
ـع غوالي حبّاتِه النيّرات
بل هو البحرُ ، لا يضنّ على عا
فِيه يوماً بأنفسِ اللؤلؤات
ما أبالى — وقد تملّيتُ منه —
أبروضٍ نزلت أم في فلاة

صاحبي الفرد إن عدمتُ صحابي
وسميري الوفي في خلواتي
لم أخف منه غدرةً – إن تجافيـ
ـت – وكم للصديق من غدرات
صمتهُ أبلغُ الكلامِ ، وأزكا
ه ، وكم للبليغِ من سقطات
في بيانٍ موفقٍ ، ومعان
ملهمات روائعَ الآيات
ربّ صوت دوى فأيقظ قلبًا
كان — لولاه — في عميق السبات
ربّ صوت دوى فهز طروبا
كان من قبله شديد الأناة
ربّ معنىً سهرت في الكشف عنه
جاء عفوا في صورة المعجزات

ربّ لفظ منسق خلته الد
ر بجيد الحسان متّسقات

ممعن فى اقتحام بائقة الجه
ل ، مضيءٌ في حالك الظلمات

أين من طبعه تكلفُ طبع
أين من قوله بيانُ الثقات

طيّع ، ليّنٌ ، يساجلك الرأ
ى ، على غيرِ نبوة أو أذاة

ليس من طبعه اللجاجُ ، ولا المي
ـنُ ، وهذان من طباعِ الرواة

فإذا شئت فهو عدةُ لهوٍ
وإذا شئت فهو مثوى عظات

قد سعدنا به حياةً ، وحاشا
أن يملّ السعيد طولَ الحياة



أحمد شفيق ــ رحمه الله ــ (١١)

نكبة في فتى

رزىء حضرة صاحب المعالى محمد شفيق باشا وحيده، وقد فَتِىَ وتركزت فيه آمال أسرة كاملة، فكان الخطب جاللاً. زفر الشاعر له هذه الزفرة

يا زهرةً غضّةً كانت رجاء أبٍ
أفى الليالىَ يرعاها ويُرويها
فيمَ التحوّل والأيامُ مقبلةٌ
وكوكب السعد يحدوها ويَهديها
كنفحةِ الزهر مرّت غير مُدرَكةٍ
فلمْ يبرّد من الأنفاس صاديها

***

قد كنتَ أمنية جاد الزمان بها
فما تمهل حتى عاد يطويها

إن قيل: « أحمد » وافى هالوا فرحا
أو قيل: « راضٍ » فما الدنيا وما فيها!

أو قيل: أصبعه أوفت على خطر
يوماً » لما بخلوا بالروح تفديها

وكان كالبدر وافاه التمام على
حكم الليالى، فغالته عواديها

***

يا ضلةً لليالى كم وسعن منىً
ثم استحلن، فعاد الحق تمويها

في ذمة الله آمالٌ مضيتَ بها
كانت غذاء نفوس، أنت محييها

عادت برزئك للمولى ورحمته
لعلّه بجميل الصبر ينجيها

أنة مسهد

ملاتُ يا ليل فيكَ السهدَ والفِكَرا
فكم أردّدُ — فى طيّاتِك — النظرا
منقّباً عن خيالٍ كانَ يطرقُني
عليّ أصادفُ من أخبارِه خبرا
ليتَ الحبيبةَ — حين الهجرُ جدّ بها —
رأت فؤاديَ يقْفو خلْفَها الأثرا
خَوْدٌ من الحسن فى أسْمى مطالعه
سامتْ — بما أحرزَتهُ — الشمسَ والقمرا
رمتْ فؤادي بسهمٍ من لواحظها
فما قَدَرتُ على أن أمنع الخطرا

أبنتُ حبي لها ـ لما التقيت بها ـ

وقلتُ : رفقاً بقلبي ، إنه انفطرا

لقد أطلتِ صدوداً غيرَ راحمةٍ

وما أرانى ـ على السُّلوانِ ـ مقتدرا

فراقبي الله فى نفس المحبِّ ولا

تُلْقيه فى اليأس ، إنّ اللومَ قد كثرا

ما حمّل الله نفساً فوقَ طاقتها

فهلْ يطيقُ جفاءً بعد ما ضجرا

قالت ـ وقد أعرضتْ ـ من أنتَ؟ قلت وبي

من حبّها كامناً أضعافُ ما ظهرا!

قتيلُ حبّك ، قالتْ : لستُ أعرفُه

وما إخالُكَ إلاّ كاذباً أشرا

أتعبتَ نفسَكَ إذْ علّلتها بمنىً
قصرت عنها فلا ترقب لها ظفرا (١)

غلبتُ همّي ولم أحفلْ بنازلةٍ
فهلْ أرانيَ يوماً أطردُ الذكرا ؟

كتمتُ وجْدي، فما أجدى تكتّمهُ
وأظهرَ الحزنُ سرًّا كان مستترا

ورضتُ نفسي على صبرٍ، وقد علمتْ
أن السعادةَ في الدُّنيا لمن صبرا

يجاهدُ المرءُ - والآمالُ تدفعه -
وليسَ يظفَرُ إلا بالذي قُدِرا

«١» قصر بفتح الثاني، عن الأمر كف عنه مع العجز

أنشودة الحب

أرأيتِ قومَك كيفَ حالوا بيننا
وحَمَوْكِ مني بالقواضبِ والقنا ؟

هم يَعلمون بأن قربَكِ مُوردي
وردَ النعيم ، وأنه كل المنى

إيهٍ فتاةَ الحيّ حسبُك أعيناً
دَمعَتْ ، فلا تخْشَى علينا الأعينا

جحَدَ الوشاة الحبّ إصغاراً له
وبقيتُ — وحدي — بالمحبة مؤمنَا

***

ياقومها — وأرى السدادَ حليفَكم —
باللهِ لا تتخذُوا التمنّع ديدنا

أظننتمُ السلوانَ فى طوقِ الفتى
أم تحسَبونَ الصبْرَ أمراً هيّناً ؟

غَلَبَ البعادُ الصبرَ، فاستولى على
قلبي الأسى، وأقامَ فى جَسَدي الضنى

لا أرتضي بدلاً بها ، ولَوَ انه
كنزٌ تُفادُ به السَّعادةُ والغِنى

وهبوا الغِنَى يَشْفى الجسُومَ من الضّنى
أترَوْنَه لِشِفاء قلبي ممكنا ؟

هاتوا السلوّ أو انتهوا عن عتبكم
فالقلب لا يسع الهوى والألسنا !

***

قد كنتُ أغبِطُ من يُحبُّ جهالةً
وأقولُ - إنْ ذِكرَ الهوى - ما أحسنا

وأجيدُ وصفَ مواقِفِ الوْصلِ التى
جَادَ الزمانُ بهـا عَلَيْنَا محسنَا

فى روضةٍ ـسُبْحَانَ ناسِج بُردهاـ
غنَّاءَ ، يَقْصرُ عَنْ محاسِنِها الثنا

فاحَ العبيرُ بها ، ونَوَّر زهرُهَا
أحببْ بهـا فيئاً يُظِل ، وموطنا

والآن لا أملٌ سوى ذكرى الهوى
والحسن ، أو طيفٍ يوافى موهنا

أمسَيتُ أنأى مَن تشط به النوى
ولطالما أمسَيتُ أقرَبَ من دنا

* * *

والحبُّ إنْ أعيتْ وسائلهُ الفتى
ـدونَ المُنىَـ كانَ السَّبيلَ إلى الفَنا

السعاية

نظم الشاعر هذه القصيدة يصف بها حال محب، خطب حبيبته ليبنى بها فحال بينهما اهلها طواعية لسعاية دنيئة دفع اليها الحقد والحسد، فكان لهذا السعي أسوأ الأثر في حياة الحبيبين :

طالَ البِعادُ ، ولجَّ فيه ذَووكِ (١)

حتى إذا لم يُنصفوا حجبوكِ

حكموا علينا بالفراقِ ، وما دَرَوْا

أن الذي أشكُوهُ قدْ يُبْكيكِ !

« ١ » لجّ في الامر لازمه وأبى أن ينصرف عنه

لو يَعلمُون- كما عَلمْتُ - لأيقنُوا
أنّ احتِجَابي عَنْك لا يُرْضِيكِ
هيهاتَ ما كان احْتِجَابُكِ مانعا
حبي ، ولا طولُ النّوى منسيكِ
هلاّ أقامُوا — دونَ طيْفِكِ — حائلاً
أوْ دونَ طيفي حيثُ لا يُغْويكِ ؟
جمعَ الهوى قلبْين لمْ يفصلْهما
نأيُ الدّيار وإنْ قسا أهلوكِ
عجباً لهمْ لا يَرْمقونَ ودَادَنا
إلاّ بِنَظْرَةِ جَاهِلٍ مأفوكِ
كُنّا وكنتِ ، فلا النعيمُ بِزَائِلٍ
عنّا ، ولا سَهْمُ النّوى يُقْصِيكِ

لاَ لاَئِم يَسْعَى بسوءٍ بيننَا
أوْ عَاذِلٌ بِسِهَامِهِ يَرْمِيكِ
لولا السِّعايةُ ما تنكَّر حاسِدٌ
لى ، أوْ تَقَوَّل مستبِد فيكِ
ما صَحَّ ما ذكروهُ عَنْك وإنَّما
لما رأوْكِ سَعِيدةً حسدوكِ
في الله آمالٌ تقضَّتْ بعدَ ما
لم نخْشَ فى القربَى إباءَ ذَوِيكِ
علَّ الذى ألْقَى عليَّ محبَّةً
أسَرَتْ نُهَايَ على المدَى يُدنيكِ



أحدوثة الصبا

نظمها صاحب الديوان فى مستهل التاسعة عشرة من عمره ، وقص فيها أحدوثه من أحاديث الصبا

هــلْ معينٌ على صروف الزمانِ
فَنِيَ الصبرُ ، والأسى غير فانِ

أو معينٌ على البكاءِ ، فمَهْمَا
هملَ الدمعُ لا تَفِي العينان

وَيْلَ نفْسي مِنَ الزمانِ إذا انقـ
ـضَّ ولم يَقْوَ في الدفاع جَنانِي

مرَّ عام بعد اشتدادِ يميني
ودُخولى فى حَلْبة الفرسان

ذاك العامُ أولُ العهدِ بالجـ
ـدِّ ، وشَدِّ القوي لِيَوْمِ الرِّهان

لهْفَ نَفْسِي على ثمانِ سِنِين
بَعْدَ عشرٍ قضيتها في أمان
ليسَ بعدَ الصِّبا نعيمٌ ولا بَعْـ
ـدَ مرورِ الشَّبابِ مِنْ رَيعَان

***

إنْ يكنْ ساءنا الزمانُ فإنَّا
ما نَسِينا مودَّةَ الإخوان
أو دلالَ الحبيبِ حِينَ تولَّى
آبِيَ النفسِ، مُغْلِنَ الهجران
فإذا سار، فالفؤادُ تَبُوع
يقتفي إثرَه بكلِّ مكان
لا، ولا ساعةَ الوداعِ وقَلْبي
مُفْعَمُ الهَمِّ، دائِمُ الخفقان

سَاعةَ البَيْنِ لا خُلِقْتِ ، فَمَا أَنْـ
ـتِ سوى قِطْعَةٍ مِنَ النيران
كنتِ شُؤْماً عليَّ منذ تولّى
فكأني والهمّ مؤتلفان
ولوَ أني علمتُ أنّ التلاقي
بعدَ هذا الفِرَاقِ ليس بدان
لشَفَيْتُ الغليلَ منه ولكنْ
ليسَ للمرءِ بالقضاءِ يدان

***

جاءني نعيهُ ، ونَاعِيهِ يَبْكِي
ليْتَني متُّ قبلَ أنْ يلقاني
أي حسن أسَاءني الدهرُ فيه
وبأيٍّ منَ الخطوبِ رماني ؟
أترى هلْ عَلِمْتَ يا بعضَ نفسي
ما ألاقي من الجوى وأعاني ؟

تركتْ رُوحكَ الكريمةُ داراً
زُحِمَتْ بالشرور والطغيان

أنت خلّفت بعد موتِك قلبا
بات يخشى الأسي كقلب الجبان

كانَ يلقى أسنّةَ الدّهرِ صلدا
فَغَدا خائفاً بِغيرِ طعان

هُمْ يقولون بالتّأسّي ولكنْ
لا أراه ، وأينَ منه مَكاني ؟

ضلّ من ينشُدُ السّعادة في الدُّنْـ
ـيَا ويَسعى لها بِغَيرِ توان

يصرفُ العُمْر باحثاً عن خَيال
ويُضيعَ الزّمانَ في غيرِ شان

كم أفاضوا فى وَصفِها غَيرَ أني
أجدُ الوصفَ لايفيه بياني

هِيَ أمُّ المنى ، وأوّلُ ما يخْـ
ـشَى الفتى في حياتهِ ، ويُعاني
وعجيبٌ تهالكُ النّاسِ فيها
وهيَ ـ في البُعدِ ـ دونها الشّعريان

* * *

يقْظَةً أيها العبادُ فما يَشْـ
ـفعُ طولُ الرُّقادِ للوسنانِ
ما أقلَّ الصفاءَ في هذه الدا
رِ وإنْ كانتْ غضّةَ الأفنان
تخدعُ الناسَ بالظواهر والكذْ
بِ كخدْع السَّرابِ للظمآن
إنما المرءُ ـ في الوجودِ ـ كضيْفٍ
نازلٍ ، ثم راحلٍ في أوان

المداراة

أفدّيه من قاسٍ يضر وينفعُ
رآني وفيًّا فانثنى يتمنعُ

ألا عاذرٌ فيما ألاقي من الهوى
يردّ مقال العاذلين ويدفعُ ؟

وما أنا من يحيا إذا دام نأيه
وظلّ فؤادي وهو صادٍ مروّع

***

أأنسى ؟ فلا ذكّرتُ ـ ماعشت ـ حاجة
لياليَ وافانا بها الخيرُ أجمع

يفيضُ عليّ الحُبَّ فيها بيانَه
وتملى عليّ الساجعاتُ فأبدع

فأحسب أنّ الدهرَ ألقى زمامَه

إلىّ وأولاني التي كان يمنعُ

وكم وقفةٍ لى فى الرياض ونَورها

يفوح عبيراً زهره المتضوع

فرعيًا لعهدٍ لم تشُبْه قطيعة

وسَقيًا لأيامٍ مضت ، ليس ترجع

أصابَ موداتِ الهوى سهمُ عاذل

رماه على عمدٍ فأمست تَقَطّع

مودّاتُ من كانت له الروحُ فديةً

ومن حسنه كالشمس تزهو وتطلع

ومن دأبهُ فى كل حالٍ ترفّع

ودأبِيَ أني خاضع أتخشع !

ومن سرّه عندي نزيلُ سريرتي
وسرّى لديهِ ـ إن أبحْتُ ـ مضيّع
تقطعتِ الأسبابُ بيني وبينَه
فلم يبقَ لى غيرَ التصبّرِ مفزع
وأبعدُ ما حاولتَ ياقلبُ قربَه
حبيبٌ تجنّى أو وصالٌ ممنّع

***

فيانفسُ لا يذهبْ بك الحزنُ مذهباً
يريبك ، إن الصّبرَ للحرّ أنفع
تريدين إدراكَ المنى وقد انبرت
عواذلُ من أهوى تخُب وتوضع
يَقُلْنَ علي من تذرِفُ الدّمعَ هامياً
أذو سقم أم أنْتَ للحبّ تنزع ؟

فإن كانتِ الأولى فتلك فظيعة

وإن كانتِ الأخرى فأمرُكَ أفظعُ

أتُذْوي شبابا ناضراً وتُضيعُهُ

لأنت إذا أضناكَ سُهْدُكَ أضيع

وما بِيَ من سقمٍ عراني وإنما

أداري هوًى في القلب يَنمو ويُونِعُ

فلي أدمعٌ تترى يبين بها الأسى

وكم أخفتِ الأشجانَ والهمَّ أضلع !

لك اللهُ من قلبٍ تزيدُ على الجوى

هُياماً ، ويُغويك الحبيبُ فتطمع !

ألا إن برقا أصله الحسنُ خلَّب

وإنَّ ولاء الغانياتِ تصنّع

وقفة بين أطلال

ألمّا بأطلالٍ لمنزلها الرحبِ
فإن تعرفاه فاقضِيا واجب الصحْب(١)
خليليّ ما ضرّ افتراقُ جسومِنا
إذا كانت الأرواحُ تنعمُ بالقرب
على أنّها نعمى تزيدُ من الجوى
وتسلمُ عينَ الصبّ للمدْمع الصبّ
سلامٌ على ذاك النعيم الذي مضى
سلام ظمٍ يهفو إلى المورد العذب
أعاديتُ دهري حين أسلمتُ مهجتي
إلى الحبّ، فاستهدفتُ للسهد والكرب؟

«١» الصحب جمع صاحب

وفارقتُ لبى حين مِلْتُ إلى لهوى
فلا أنا موصولٌ ولا حاضرُ اللب !

* * *

فيا لشباب لمْ نمتّعْ بطيبه
تولّى ، وأبقى بعده فادح الخطْب
ولو كنتُ أدرى أنَّ بالحب ما أرى
لما بات يحدونى حنينٌ إلى الحب
أيقضى كلانا عمرَه غيرَ مُسعَد
على دهره العادى ، ولم يجن من ذنب !
خليليّ هذا آخرُ العهد بيننا
فإن حان حينى فاحفظا في الهوى غيبي
ولا تنسيانى — بارك الله فيكما —
فحسبى من الأيام ما فعلَتْ ، حسبى

كوكب هوى

أختَ البدورِ ـ وكنتِ أبهى منظراً
وأجلَّ حسناً ـ هل يحينُ أياب ؟

لك ـ فى فؤادي ـ صورة لم يمحها
عادى الزمان ، وصرفه الغلاّب

لولا سكوتك لم أصدق ناعياً
ولقلتُ : هذا ساحر كذاب

عودي تري ما ساقه صرف الردىٰ
لى ، فانطوى أملٌ وضاع شباب

***

ضنّت بك الدنيا علىّ ، وطالما
غَرَّ المسهّدَ برقُها الخلاب

ما عزّني شيءٌ أردت بلوغه
هيهات تستعصى عليّ صعابُ
وأنا الذي أفنيتُ عُمْرَي مُقدِماً
وسواي متئد الخطا هياب
إلا لقاكِ ، فقد جهدت ولم يُفد
جهدى ، فطالتْ فرقةٌ وغياب
إن الذى فارقتِ حيٌ ميتٌ
فحياتهُ بعد الفراق عُجاب
ما كانت الأيامُ غير كنانةٍ
بسهامها يتفرق الأحباب (١)

---

(١) الكنانة جعبة تجعل فيها السهام .



الدكتور أحمد فؤاد — رحمه الله — (١٢)

دمعة على صديق

كان الدكتور أحمد فؤاد من خيرة الأطباء ، ومن أحسن الناس خلقاً ، وأصفاهم نفساً ، وأصدقهم وطنية .

وكان – إلى ذلك كله – مثلاً عالياً في الرحمة بالضعفاء والبائسين ، وفي الوفاء للاصدقاء ، ولما فجع العلم والفضل فيه ، أقيمت له حفلة تأبين بمسرح حديقة الازبكية فذرف الشاعر فيها هذه الدمعة

عذراً إذا استعصى على خطابي
فاليومَ روّعنى أجل مصابِ
واليومَ حقٌّ على أن أبكي أخا
قد كان ضوءَ العين بين صحابي

أبكي المروءة والوفاء مجسما

باتا رهيني جندل وترابِ

أبكي السجايا الغرّ والخلق الذي

ما شيب — في مُرّ الخطوب — بصاب

لم يودعوا بطن الثرى إذ أودعوا

غير التقى ، والفضل ، والآداب

لو يفتدي ميتٌ بأكرم فدية

لفديته بالروح غير محاب

حلمٌ هي الدنيا ، فما آمالنا

فيها سوى كذب ولمع سراب

يحبو بها الشيخ المقيد ، بينما

يفري الردى فيها الشباب بناب

عزت على الفطن اللبيب قشورُها
وأخـو الجهـالة ظافرٌ بلبابِ

***

يا ناشراً خلق الوفاء ، وإنه
لسجيـة عزتْ على الطـلاب

يا جابر العثرات فى الزمن الذي
ما فيه ، غير تقاطع الأنساب

يا مؤنس الإخوان كيف تركتهم
في وحشة ، واخترت ضيق رحاب ؟

يا موئل الضعفاء كيف تركتهم
ورضيت أن تنأى لغير مآب ؟

هل كان طبك غير آيات بدت
للنـاس تنجيهم من الأوصـاب

كم قد شفيتَ نفوسهم وجسومهم

فأثرت فيهم أيمّا إعجابِ

الآن ، حين نزلتَ أطيب منزل

وحططتَ رحلك بعد طول غياب !

وأخذتَ فى تتويج فضلك مؤثرا

نفع البلاد ، موفق الأسباب !

ووقفتَ – في وجه الزمان – تروعه

بحجى الأريب ، وبطشة الغلاّب !

تتدافع الأهوال بين يديْك من

فزع ، وتشفق منك أُسد الغاب

أزمعت رحلتك التى لا يرتجى

منها الإياب ، ولات حين إياب

هلاّ تذوّقتَ الحياة هنيّةً
بعد الذي قاسيت من أنصاب (١)

لم أُعنَ بعدَكَ بالحياة وطعمها
لو أنه كالشهد أو كالصابِ

لم أدرِ — بعدَكَ — أيّ رزءٍ أتقي
شرّ الرزايا فرقة الاحباب

هي كربةٌ جلّتْ ، فإنْ أجهدْ لها
صبري ، أرَ الذكرى تجدد مابي

هي لوعةٌ في القلب ليس بمسعد
فيها بكاء الأهل والأصحاب

* * *

أسفاً على علم ، رفعت لواءه
فطواه ريبُ الدهر طيّ كتاب

---

(١) جمع نصب بضم الاول والثاني وهو البلاء .

أسفاً على رأي أغرّ موفّقٍ
قد كان يسطعُ في الدجى كشهاب
أسفاً على أدبٍ جلوت بديعَه
في صورةٍ سحرت أولى الألباب
أسفاً على عزم كسيف مرهفٍ
تنبو العزائمُ وهو ليس بناب

***

يا صاحبَ الخلق الرضيّ : تحيةً
هيهاتَ يوفي حقّها إطنابي
قد كانَ برُّ الوالدين ذخيرةً
تلقى بها الرحمنَ يومَ حساب
فاهنأ بذكرى ، لن يملّ حديثها
وادخلْ بما قدمتَ أكرمَ باب

ثورة نفس

مرت بالشاعر فترة من الزمن ، لقى فيها من عنت الأيام ، وضيعة الوفاء فى الإخوان ، ما زفر له هـذه الزفرة ، فهو يرسلها لعلها تروّح عن مكروب ، أو يتأسى بها محزون :

سئمتُ زمانا ما تقضّي غوائلُه
وما تنجلى أحـداثـه ونوازله

فما خيرُ عيشٍ كلَّ يوم يسوءنى
به حادث تعيي الرجال كلاكله

فلا صاحبٌ إن ضقتُ ذرعا قصدته
ليحملَ عني بعضَ ما أنا حامله

ولا أنا راجٍ إن تصبرتُ حقبة
من الدهر تحقيقَ الذي أنا آمله

على أن لى عزما إذا ما انتضيتُه
تركتُ فؤاد الدهر جمًّا بلابله
وألهيتهُ عن قذفه الناسَ بالأذى
ولم تخفَ عنى إن رميتُ مقاتله
ولكنّ همًّا بين جنبىَّ مضّنى
فأخمدَ هذا العزم فيما يحاوله
وأسكتَ مني مقولا لو سللتُه
عليه لأعيتْ عن لحاقي مقاوله
لسان كحدّ الصارم العضب فى الوغى
وكالأري في سلم تُسرجّى فواضله (١)
فأصبحتُ والآمالُ أنضاء رحلة
وثار علىّ الدهر قدْما جحافله (٢)

---

(١) الأرى : الشهد وهو العسل .
(٢) القدم بسكون الدال الشجاع .

شباب وما أدرى بماذا انتهاؤه
إذا كانت السمَّ الزعافَ أوائله !
وعمر وإن لم يمض إلا أقلّه
تروعني أعصارُه وزلازلهُ !

منى النفس أن تلقى المنونَ ولا ترى
زمانا سمت أوغادُه وأسافله
فذو الجهلِ موفورُ الكرامة غانمٌ
وذو الفضل فيه خامدُ الذكر خامله

همو حسدوني إذ بلغتُ مكانةً
وكلهمو بالحقد أجّت مراجله

فإن يشمتوا بي بعد ما نلتُ من علا
فكم بالكريم الحر يشمت عاذله !
عفاءٌ على الدنيا فقد ساء جدنا
بها غير مرجوٍّ وأقفر آهله

اليتامى

أثر في نفس الشاعر ما يلقاه اليتامى من الأسى والشقاء ، ورأى تقاعس الأغنياء عن إقامة الملاجىء لتعليم هؤلاء البائسين ، وتهذيبهم ، وتوجيههم إلى العمل الصالح ، فوجه إليهم هذه الدعوة :

اليومَ يومُكمو يا قومُ فاغتنموا
خيراً تعز به الأفراد والأممُ

اليومَ يومُكمو يا قومُ فانتبهوا
طال السباتُ فأين المجدُ والهمم

كم بات يدعو كمو للجودِ مُنْتَصِف
فلم تهزَّ كمو الآيات والحكم (١)

---

(١) إنتصف منه طلب منه الإنصاف .

أتمنعون سبيلَ الخير مالَكمو ؟
ولا تَضِنّون حيث السوءُ والتهمُ ؟

ألستمو من بنى القوم الأُولى بلغوا
أوج العلاءِ فلم يُقْهَرْ لهم شمم ؟

أجلْ لأنتم بنوهم ، غيرَ أنكمو
ونيتُمو فاستَوى الهيّابُ والقُدُمُ !

هم سارعوا لاقتناءِ الباقياتِ ، وقد
ألها كمو المالُ واستهوتْكم النعم

تعيَوْن عن ماجأ يبنى ، وكم رفعتْ
أيدى الأوائل مجدا ، بعضه الهرم !

* * *

فى مصر صرعى بكأسِ الهمّ لم يجدوا
قوتاً ، فأصبحتِ الآثامُ همَّهمُ

لم يُذنبوا غير أن البؤسَ طاردَهُم
بويله ، وطريدُ البؤس منهزمُ

يا رُبَّ طفلٍ ضئيلِ الجسمِ ناحِلِه
أمضّه المرهقانِ الذُلّ والسقم

تبيّنت من خلال الثوب أضلعه
فغصنه ذابلٌ ، والدمع منسجم

يقوده الجهلُ أنى شاءَ رائدُهُ
إلى الضلال وبئس المرتعُ الوخِم (١)

فما يهذّبُه علمٌ ولا أدبٌ
فيتّقي شر ما يُؤْذِي وما يصِم

يكادُ يَقْضي الليالى طاوياً ظمِئاً
لولا القماماتُ ممّا يقذفُ الخدمُ

---

(١) الوخم الوبىء .

وطاؤه التربُ أنى ضمّه بلد
غطاؤه نسج ما تَهْمي به الدِّيَمُ

يطوي الليالىَ ماقىً لا يحس به
كأنه الطيفُ أخفتْ أمرَه الظُّلَمُ

أو أنه حجرٌ بالأرض مطّرحٌ
فليس يدركُهُ حتى تعثرَ القدم!

هذى حياتهمو يا قومُ فاعتبروا .
وإنّها لحياة دونها العدم!

يا رحمةَ الله حلّى حيثما نزلوا .
فقد دعونا لشكواهم فما رُحِمُوا

* * *

لا تنكروا شدةً في القول باديةً
فإنها زفراتُ النفس تضطرم .

والنفسُ يؤلمها أن لا تزال ترى
ضنناً بمال على قومٍ لهمْ رحمُ
دماهمُ البؤسُ فى أنياب كاشرةٍ
من الرزايا قِراها الخوفُ والعدم (١)
إنا ليحزُنُنا البخلُ الذى شُغفتْ
به النفوسُ، وبئس الخِيمُ والشيم (٢)
« ألأزبكيةِ » حاناتٌ مفتحةٌ
كأنها الركن مأموم ومستلم
يأوى إليها سَراة القوم فى كرم
ولا وربّك ماذا الجود والكرم

---

(١) العدم بفتح الدال الفقدان .
(٢) الخيم الطبيعة والسجية .

فإن دعوتَ فتى منهم لمكرمةٍ
ثنى العنانَ وولّى وهو يبتسمُ
كأنه ساخرٌ من جهل سائِله
إذْ باتَ يسألُ من لم يؤذه الألم!

***

قد بُحّ صوتُ الأولى يستصرخون، وفى
دعاء داعي الندى لا يحمد الصمم
فليس من خلق أدعى إلى شرف
كهمةٍ بذرى العلياء تعتصم
يا أهل مصرَ دعوناكم إلى عملٍ
يرجى به الأجرُ والشكران، فاغتنموا

أحلام الشباب

لابن الرومى الشاعر المعروف، نونية طويلة مشهورة تعد من محاسن شعره ، وقد نسج على منوالها كثير من شعرائنا البارزين ، فنظم الشاعر نونيته هذه منوّعة الفنون والأغراض :

محاسن الطبيعة

أبحتكَ الروضَ فيه الآسُ والبانُ
فقرَّ عيناً ، ولا تحزُنْك أشجانُ
جاد الربيعُ على أنحائه فزها
فيه من الزهر والأثمارِ ألوان
قطوف أعنابِه للراحِ دانيةٌ
ودون ذلكَ تفاح ورمان

كأنما النَّورُ إذ يفترُّ مبتسماً
تبرٌ ، ودرٌ ، وياقوتٌ ، ومرجانُ

والمياه خريرٌ فى تدفّقها
وللطيور على العيدان ألحان

وللغصون اهتزاز حين تدفعها
يدُ الرياح كما يهتزّ نشوان

تميلُ فوق متونِ الماءِ مفضية
لها بسرٍّ ، فتدرى السر غدران (١)

تلك الطبيعة تبدو فى مشاهدها
جلواءَ يعجب منها الإنس والجان

لولا محاسنُ تجلوها بلا عددٍ
لما تجلّت بثوبِ الحسن أكوان

---

(١) الغدران جمع غدير وهو النهر .

فاغنم أويقات صفوٍ لا تدوم ، ولا
يعيدهن إذا مارحن ِنشدانُ (١)

فهـذه نفحاتُ الروض عاطرةً
فيهنّ للعاشق المهجورِ سـلوان

آليتُ لو أن مقبورا تنسمها
لعاد وهو رفيهُ العيش ريّـان (٢)

تحْـيي المنى ليؤوس ظـلّ يرقبها
وكان إن أخلفتْـه قال : بهتان

وهذه نفحاتُ الوردِ عابقةً
يَـغْـنَـى بها عن كؤوس الراح ندمان (٣)

---

(١) نشد ضالته نشدانا طلبها :

(٢) رفه عيشه لان وخصب فهو رفيه ورافه ورفهان ، والريان ضد العطشان .

(٣) الندمان جمع كالندامى .

علالة لسليب اللبّ أسلمه
إلى الهوان ، وطولِ الهم ، هجرانُ
وهل تفيد عُلالاتٌ إذا عرضت
لِيَ المنى وحبيبُ النفسِ غفلان ؟

الذكرى الخالدة

ليهنِ قلبي زمانٌ كلُّه نِعَمٌ
مضى ، وليس له ما عشتُ نِشْيان
وليهْنِ من هجعت عيناه مغتبطاً
بالبعد ، أني قريحُ الجفنِ سهران
إلاّ تكُنْ رجعةٌ يَحْيا الرجاءُ بها
فقد يسرُّ بطولِ العتْبِ مِحْزان (١)

«١» المحزان والحزين واحد .

لطالما خلتُ شملي غيرَ منصدعٍ
فكان لي بدوامِ الوصلِ إيقانُ
حتى غزا الدهرُ آمالي فشتّتها
والقلبُ من ذلك التشتيت غيمان (١)
تكاءدتْني خطوبٌ لستُ أدفَعُها
لهنّ بالنفسِ إيقاعٌ وإثخان (٢)
هيهاتَ أنعَمُ بالا فى الحياةِ وقد
ترحَّلَتْ بحبيب النفس أظعان
حالان : كلتاهما للصب مضنيةٌ
صدٌ وبعدٌ ، هما ذل وحرمان

«١» غام : عطش وحرّ جوفه فهو غيمان .
«٢» أثخن في العدو بالغ في قتلهم وغلظ .

لقد فطنت لهذا قبلَ موقعه
وهل ينجّى من المقدور حسبانُ ؟

جنة المدمين

ما أنسَ لا أنس عهداً سالفا ، ومُنىً
قضيتها ، وأحاديثا لها شان
إذ موردُ العيشِ صفْوٌ لا يُرنّقهُ
صرفٌ وأوجههُ بالبشر غُرّان (١)
ومؤنسي في الرياض الزُّهرِ فاتنةٌ (٢)
بحسنها ضربَ الأمثالَ رُكبان
فكادتِ الشمس لو دامت تشابهها
ـ في الحسن ـ والبدرُ لو عدّاه نقصان

---

(١) جمع غراء أنثى الأغر وهو الحسن .
(٢) الزهر جمع زهراء وهي المشرقة النّيرة .

لكل زهرٍ شبيه من محاسنها
تزهى به ، فهي للعشاق بستانُ
فالخدُّ كالورد بل أبهى فإن سفرتْ
حنى لها الوردُ رأسا وهو خجلان
والطرفُ كالنرجس المختالِ قد ذبلت
أجفانُه فتبدَّى وهو نعسان
والشعرُ جثل يضل السائرون به
حلوُ الرَّسالةِ ، بادى الحسن فينان (١)
والثغرُ كالأقحوان الغضّ غِبَّ ندى
رفّ النسيمُ عليه فهو مزدانُ (٢)

---

(١) جثل الشعر كثر والتف واسود فهو جثل بسكون الثاني ، ورسل الشعر رسالة كان مسترسلا ، والفينان : الشعر الطويل الحسن .

(٢) الثغر مقدم الاسنان والأقحوان نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان .

يفترّ عن درر فيه منضدّة
حلوُ الرضاب ذكيُّ الريحِ فتانُ
والقدُّ كالغصن ميّاساً ومعتدلا
إذا تثني فأنّى يذكرُ البان
تبارك اللهُ ما أجلى مظاهره
نورٌ، ونورٌ، وريحانٌ، وسُوسان(١)

وقفة بين عهدين

بل كيفَ أنسى أفانينَ السرور وقد
تهيأتْ، فانجلت عنهن أزمان (٢)
لله حينَ تلاقينا على قَدَرٍ
في موقفٍ لا يفيهِ الوصف تِبْيان

---

(١) السوسان نبات من الرياحين.
(٢) الفن الضرب من الشيء أو النوع وجمعه أفنان وفنون وجمع الجمع أفانين.

إثنانِ لم نصطحبْ غير العفاف ، وهل
مثل العفاف على الأهواء سلطانُ ؟

بقلبها وبقلبي لاعجات هوى
تخفي كلاما وتبديهن أعيان (١)

وللمحبين أسرارٌ محجَّبةٌ
لها إذا التقتِ الألحاظ إعلان

فأغضتِ الطرفَ واستحْيَتْ ، فقلت لها
قدْكِ اجتنابا ، فإني اليوم جذلان (٢)

ألا ترينَ عيونَ الدهرِ حاسرةً
يظل ينظر شزرا وهو خزيان

---

(١) الأعيان جمع العين وهى الباصرة .
(٨) قدلك بمعنى يكفيك .

لو يستطيع بَغي – والبغيُ شيمته –
لكن أبى اللهُ هذا ، وهو رحمنُ

وهذه ساعةٌ لا العمر يعدُلها
ولا يُرَجَّى لها إن تعدُ لقيان

مناجاة

لا تكتمي الحب ، إني قد علمت به
فما يفيدكِ منذُ الآنَ كتمان

قالت : رويدكَ ، هذا القول أعرفه
يُعيدُه خاتل للغيد ولهان

يغرهن بأذعان لهنَّ ، وكم
غرّ الغواني من العشاق إذعان

يشتاقُ واحدةً من بعد واحدةٍ
كأنه طائرٌ ، أوْ هُنَّ أفنان

فتطمئنّ إليه وهي واثقةٌ
بحبه ، وهو تضليل وطغيانُ

وهذه غايةٌ يصبو الرجالُ لها
لم يَعْدُها منهم شيبٌ وشبان

فإن تكن واحداً منهم ، فلست أرى
غيرَ الفراق ، فهذا الحب ديدان (١)

فقلت والنفسُ حسرى من شكايتها
وللدموعِ على الخدّين تهتان

أفديك بالروح لا قولا أريد به
رضاكِ ، أو أنني بالروح منّان

عدمتُ أهلي ووَفْري إن أخُنْك ، ولا
حَنَتْ عليَّ إذا لم أوفِ أوطان (٢)

---

(١) الديدان : اللهو واللعب .
(٢) الوفر : الغني .

تبيّنّي صدقَ قولي إن شككتِ بما
تذري الشؤون فإن الدمع برهانُ(١)

فإن تناءيتِ عني غير راحمةٍ
فلي بذكرى الهوى والحسن قُنعان (٢)

أخْلقْ بذي الحسن أن يسري إليه هوى
فالحسن إن لم يزنه الطهر عريان

حتى إذا استوثقتْ مدّتْ اليّ يداً
وثغرُها باسمٌ والوجهُ ضحيان (٣)

لها أناملُ – جل الله بارئها –
كأنها عَنَم أجنته أغصان

---

(١) أذرت العين دمعها : صبّته
(٢) القنعان : القناعة
(٣) ضحيان : مشرق

وعاهدتني على أني أقاسمها
قلبي ، فعاهدتها والقلبُ فرحان

ورب ليلةِ أنس بلغت وطرا
بمثله الدهر منّان وضنّان

خلوتُ فيها بمن أهوى أحادثه
فلم يكدّر علينا الصفوَ إنسان

فلم نزلْ وحواشي الليلِ تجمعنا
على عفافٍ ، وطرفُ الدهر وسنان

وللغصون حفيفٌ جرسه نغم
كأنما هنَّ قينات وعيدان

الختام

يادولةَ الحسن! بل ياروضةُ جَمُلَتْ
زيًّا فليس يفيها المدحَ سحبان

كم صانَ حُسْنَكَ شعري في قسامته

ولم تَنَلْه أريكات وتيجانْ (١)

والشعر رُقْيَةٌ من تمتْ محاسنه

به يُكَفّ ذميمُ الطرف ، مِعيان(٢)

شيئان حسنهما لم تبلَ جِدّته

وسيمُ شعرى ، ووجهٌ منك حُسّان (٣)

منكِ الجمالُ ، ومنى الدّر أنظمه

والحسنُ والشعرُ لو فكرتِ إخوان

إذا ابتعدتُ فما أبغي بذاك قِلىً

وكيف يرضى فراقَ الروح جُثمان

(١) القسامة الحسن .

(٢) رجل معيان وعيون شديد الإصابة بالعين .

(٣) تقول حُسّان حين تريد المبالغة في وصف الحسن .

لكن رأيتُ جفاءً منكِ أوهمني
أمراً ، فأبعدني والقلبُ هيمانُ
ألا حفاظٌ ، ألا عهدٌ ، ألا ذممُ
ضاعَ الوفاءُ وما أجداه نشدان
لم أجنِ ذنباً ولم أطْوِ الفؤاد على
بغضٍ ، ولا أنا للواشين مذعان (١)
فما الذي صدَّكم عني وغيَّركم
أشيمةُ الغيد أم بغض وشنآن
كنا أليفَى هوى ، لا الغدرُ يألفنا
كأننا الوُرْق ضمَّتهن أغصان
فهنّ يشدون بالألحان مطربةً
وأين من ذلك الترنيم ألحان

(١) مذعان : سهل الانقياد

ونحن ننْشدُ أشعاراً منمقة
بحسنهنُ جبين الدهر يزدانُ
فى رقة الماء إذ يصفو لشاربه
أو رقة الراح معطاراً بها الحان (١)
من القوافي اللواتي لا يعادلها
فى بهجة الحسن أقمارٌ وشهبان (٢)
تمرُّ بالأذن تبغى قلبَ صاحبها
فيستضىء بها والقلبُ مدجان (٣)
ويستريح اليها من متاعبه
كما استراح لذكر العشق حِبَّان (٤)
لادين يجمعنا إلا الوفاءُ إذا
تشعبتْ بضروب الناس أديان

---

(١) المعطار الكثير التعطر .
(٢) الشهبان : بضم الشين وكسرها : الكواكب .
(٣) المدجان : المظلم (٤) الحب بكسر الحاء : المحب والمحبوب وجمعه أحباب وحبان .

في روضة تملأ العينين بهجتها
وما لها غيرنا أهل وسكان

يجودها الطل في نيسان منتظما
فيزدهي بجميل الزهر نيسان

وجونا عبق بالطيب تنفحه
بأطيب النشر أزهار وريحان

وعيشنا كله لهو نلذ به
يمضي على الصفو آن بعده آن

فغير الدهر ذاك العيش وانتقضت
من ذروة الأنس والتوفيق أركان

واهاً له من زمان لو يعاودنا
إذن اعاود صفو العيش لهفان

غضبة فى الحب

قد قلتُ حين تلاقينا فما حفلتْ
حتى كأنْ لم يكنْ من قبلُ عرفان (١)

وأوسعتنى نفاراً غير مُعْتِبة
وطالما نفرتْ بالوهم غزلان (٢)

يا طلعةً لو رأى رضوان غرتها
باهى بها حورَ دار الخلد رضوان

وزهرةً غضةً تكسو الربى حللا
ودُمْيةً ما حواها قطُّ إيوان

(١) عرف الشيء عرفانا : علمه .
(٢) أعتبه : أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه .

ويا حياةَ الذى يهواكِ مرحمةً
فليس لي عنكِ سلوانٌ وشغلانُ

رويدَ هجركِ حتى أستبين له
عذراً بنفسى ، فما فى الحق إيهان

لا تأخذينى بما لم أجْنه فلكم
عَفَّى رسومَ الهوى مَيْنٌ وإدهان (١)

تسرى بفرقتنا فيما أرى كلمٌ
لاتستقيمُ لها في السمع أوزان

ماذا جنيتُ ؟ أذنبٌ لا اغتفار له !
والذنبُ يمحوه مهما اشْتَدَّ غفران

إنى كغرقانَ عينُ الموت ترمُقه
يبغى النجاةَ وفى كفيك إمكان

---

(١) دهنه وداهنه وأدهنه خدعه وختله .

قالتْ وقد أومأت نحوي مقطّبةً
أقصِرْ فما زيفوا قولاً ولا مانوا (١)

فأنت أقسمتَ أن الحبَّ يحفظه
طيَّ الفؤادِ على الأيام إجنان (٢)

وأنتَ أخلفتَ وعداً اذ أفضْتَ به
إلى الألى دأْبهم للسر إعلان

أنا الملومةُ إذ أعجلتُ في ثقتي
وكان أجدرَ بي حزمٌ وإمعان (٣)

لكن جهلتُ وليس الجهلُ من خلقي
وكل شيءٍ له قدْرٌ وإبَّان (٤)

---

(١) مان : كذب .
(٢) أجن : استتر وأجنه الليل ستره وأخفاه .
(٣) أمعن النظر في الامر: بالغ وأبعد في الاستقصاء .
(٤) ابّان الشيء : حينه .

لسوفَ تندمُ بعدى غيرِ منتفعٍ
وهلْ يردُّ قضاءَ اللهِ ندمانُ (١)

إنَّ الأمانة كنزٌ لو فطنتَ له
لم تلقَ سوءاً ، فحبلُ العذر وهنان

ألستَ تذكرُ يوم العهدِ موقفَنا
وأنتَ بالدّمع دون الماء غصان ؟

تقول روحي ، وقلبي خالصا ، ويدى
جميعها لك خدامٌ ، وعبدان (٢)

حتّى غلبتُ على عقلى وقيّدني
بالحب قول بديع السبك مفتان

فهل مللتَ ثواء السر أمْ غلبت
على احتراسك أقرانٌ وجيران

---

(١) الندمان النادم
(٢) العبدان بضم العين وكسرها جمع العبد : المملوك

أم كنتَ تنوي بنا غدراً ومنقصة
فخالفَ الظاهرَ المحمودَ إبطانُ (١)

أمْ غابَ عنك خِصَال الناس حين بَدَوا
فى ثوب سخْلٍ وهم لا شكّ ذؤبان (٢)

حتى أبحتَ الذي يطوي فؤادُكَ من
حبي ، فأعلنه للناسِ شيطانُ

وسيّروا قولهم فينا فما لبثتْ
أن أخلدتْ لظنون السوء أذهان (٣)

من أين جاءهمو أنا تؤلفنا
على المحبةِ قبلاتٌ وأيمان ؟

---

(١) أبطن الشيء : أخفاه .
(٢) السخل: بفتح السين جمع سخلة وهي ولد الشاة .
والذؤبان : جمع ذئب
(٣) أخلد اليه : مال وركن .

فقاتُ والقابُ خفَّاق يكادُ أسى
تطيرُ سوداؤه ، والدمع حيرانُ

كفّي الملامَ فلم أنسَ العهود ، ولا
قلبي بحب الأذى والشر كظان

لعلّ بعضهمو فى غفلةٍ سمعوا
نجوى الهوى ، فأذاعوه وما صانوا

لتدرِكنّ هوىً فى القلبِ أحمله
لو قسّم الحبَّ بينَ الناس ميزان

لو كنتُ أنعم بالاً بالتفرّق لم
يذرفْ دماءً مكان الدمع لي شان

فهل أبيعُ سروراً شاملا بأسى؟
وهل يقوم مقام النجح خذلان؟

والعقل أكبرُ من ترك السعادة إن
عنّتْ ليفسدَها إفك وبطلانُ
أعيذه خلقاً — ما شابه نزقٌ —
ألاّ يصانَ به عهدٌ وخلان
قالتْ صدقتُك ، خلّ النصح موضعه
ودع هواكَ ، فما بي بعد أشجان
واسعد وحيداً ، ولا يزعجك منصرَفي
إن القلوبَ — إذا حققتَ — وُحْدان (١)
فقلتُ هيهاتَ ما قلبي بمنصرف
وكيف يهدأ قلبٌ وهو حرّان (٢)

---

(٢) الوحدان : جمع واحد للمفرد .
(٢) حران : صاد .

قلبٌ إذا هدأتْ كل القلوب هفا
شوقاً للقيالكِ فهو الدهر يقظانُ

وخلّفتْني كأني قابضٍ بيدي
أفعى يُخالط منها النابَ ذيفان (١)

حرتُ بين عذول قد منيتُ به
وبين من عندها التفنيدُ قرآن

مناجاة النفس

واحرّ قلباه لا صبر ألوذ به
ولا يطاوعُني عنهنّ نسيانُ

أأدفعُ الشرَّ مهما اشتد لا عجُه
وتستبيني بما تُزجيه أجفان (٢)

---

(١) الذيفان : السم القاتل .
(٢) لعجه الضرب : آلمه .

أقولُ والليلُ أطويه وأنشره
ولي من الهم سُمَّار وأخدانُ (١)

يا ليتَ أني قضيتُ العمرَ لا فطناً
للحب ، بل ليْتَ أن القوم ما بانوا (٢)

هل تجمَعنّي – على طول النوى – بلدٌ
بمَنْ أحب ، فيلقى الريَّ هيمان ؟

كأنما السحبُ ، غاديها ورائحها
يمدّني ، وكأنَّ الدمعَ طوفان

لطبتُ نفساً ولم أجزَعْ لكارثةٍ
لو كانَ لي بين هذا الناس خلصان

(١) السمار : جمع سامر وهو الذي يؤنسك بحديثه .
(٢) من البين وهو الانقطاع والفراق .

إذنْ لوافوا سراعاً حين أندبُهم
إن الصديق على الأحداث معوانُ

ويلي من الدهر ماذا قد لقيتُ به
إذا ربحتُ فربحي فيه خسران

أجْني الأمانيَّ شتّى لا ألذ بها
إلا كما التذّ بالأحلام وسنان

يصحو ، فيمسح عن عينيه ما رسمت
كأن وجدانه الآمالَ فقدان

وربما هاجه ما فاتَ من أملٍ
وهل تردُّ منىً للنفسِ أحزان ؟

صورة من صور الحياة

إذا تلفتّ للدنيا لأنقدَها
تأوّبَ الطرف عنها وهو أسوان (١)

الأسوان : الحزين

أرى الأباطيلَ مزجاةً بضاعتُها
في كل وجهٍ لها سيما وعنوانُ

وأبصر الخير لا تندى الأكفُّ به
ولا يُسَقَّاه مفؤود وظمآن (١)

طبائعُ المرء تأبى الخيرَ تفعلهُ
فإنَّ للشرِّ والعدوان أعوان

فعاشرِ الناسَ واحذرْ كيدَ أحكمِهم
فشرُّ ما صَحِبَ الإنسانَ إنسانُ

يُريكَ من بشره ما لستَ تنكرُه
وحشْوُ جنبيهِ أحقادٌ وأضغان

ولا تزالُ له - ما دمتَ في سعةٍ -
زلفى إليك وتبجيلٌ وشكران

---

(١) المفؤود : الذي يشكو فؤاده .

فإن تضقْ ساحةٌ أو تعي نازلة
ثنى العنانَ وولّى وهو غضبانُ

يصفي ودادَك ما أكرمتَه ويرى
تركَ الوداد إذا لم يبقَ إحسان

فكم كريم تولّى عزُّه فقضى
أيامَه وهو صِفرُ الكف غرثان (١)

وطالَما غمرتْ نعماه مجتديا
فلم يُعِنْه — على الأحداثِ — إخوان

فخذْ لنَفسك حِذراً واطمئِنَّ إلى
غدرٍ يداف به مطل وليّان(٢)

---

(١) يقال صفر الإناء أي خلا وغرث بكسر الراء جاع فهو غرثان .
(٢) داف الدواء ونحوه خلطه . اللّيان : المطل والجحد .

هل من رجعة للشباب

يا لائمي أعيدا من ملامكما
إن الملامَ بسمعِ الصبّ ألحان
لا تخشَيَا جفوةً مني ولا سأما
كلّ الجوارحِ إصغاءٌ وآذان
أمنتُ شرّ الليالي إذ سكنتُ لها
فما يَفُل شبابي بعدُ مِطْعانُ
ولا أقولُ – على ما ذقتُ من ألمٍ –
كلٌّ له عن أخيه اليوم غُنيان (١)
إن فاتني السعدُ في حين فكم عطفَت
عليّ بالبشر والإسعاد أحيان
فالصبرُ أجدرُ بي فيما ينوبُ ، وهل
تجديك شكوى إلى من فيه عدوان

---

(١) الغنيان : الاكتفاء .

إنْ عدَّ شوقي وتَهيامي بها سرَفاً
فالشبابِ مغالاةٌ وريْعانُ (١)

يلومُني في الهوى من ليسَ يعرفُه
وبي عن اللّوم والتفنيد عصيان

شتانَ بين الذي في الماءِ راحتُه
وبينَ من أحرقت كفّيْه نيران

إني لأرحمُ نفسي حين أُبصرها
تذيبها لوعةٌ حرّى وأحزان

فيا شبابا تقضّي في الصفاء بنا
إلى رجوعِك أشواقٌ وتحنان

لعلَّ من فتكتْ فينا لواحظُه
يروي فؤاد إلى لقياه صديان ؟

---

(١) ريعان . كل شيء أوله والمقصود هنا حدته .

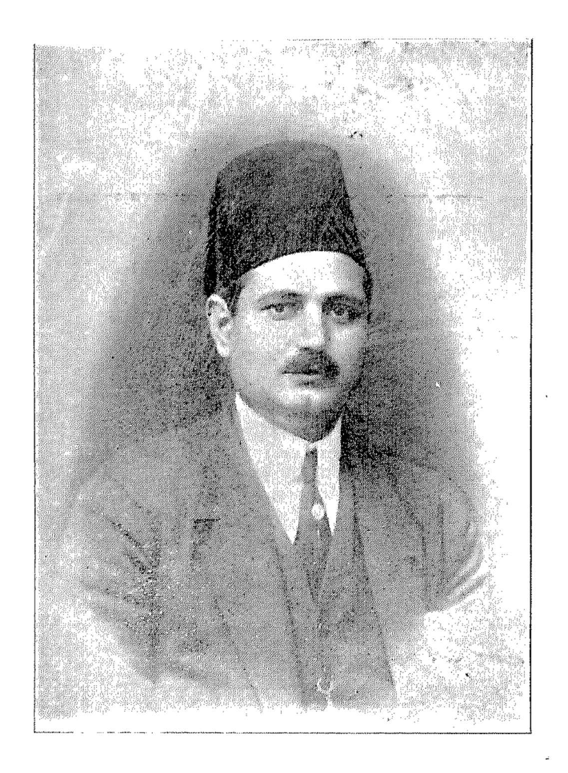
هيهاتَ أبلغ سؤلي من ملاَحتِه
وقد جَرَى بيننا بالسُّوءِ غيرانُ
يدلي إليه بآي الودّ مختلقاً :
عني الأكاذيبَ والانسان عجلان
واضيعةَ الحرّ لا آلوه مرحمة
يكيده آخذٌ باللؤم خوّان
وإنما الحرُّ في الدنيا أخو ثقة
هل يَستَوي راشدٌ برٌّ وغيان (١)
ما أكملَ الدهرُ إحساناً يجود به
إلا وأعقبَه نقصٌ وحرمان
فلا يُرَعْ ذو رجاء لم يَجِدْ سبلا
يرقى إليه بها ، فالدّهر ضنّان

---

(١) الغيّان : الضال والمعتاد للهوى .

حسبي من العيش أطيار وأفنان

كم دنتُ بالحب حتى قال قائلهُم
ياويله ماله دينٌ وإيمانُ
وما أصابوا ، ولكن نزعةٌ نزعتْ
إلى الضلال بهم عمداً فلا كانوا
وإنما الحب سرُّ الله أرسله
حتى يصحَّ به في الناس وجدان
قد كانَ لي بالهوى شغلٌ أعاوده
له عليَّ مواثيقٌ وأيمان
وكنتُ أستبقُ اللذاتِ ماعرضتْ
ودونَ عينيَّ للّذّاتِ ميدان
واليومَ أقنعُ بالذكرى وما ليَ لا
أرضى، ومايُرتجي للوصلِ رجعان
رضيتُ بالورْقِ فوق البانِ صادحةً
حسبي من العيشِ أطيارٌ وأفنان



الشاعر عبد الحليم المصري ـــ رحمه الله ـــ (١٣)

دمعة على شاعر

كان الشاعر عبد الحليم المصرى معروفا بعذوبة شعره ، ورقة طبعه ، ودماثة خلقه ، وحسن وفائه . عاجله الموت في الشباب وقد أزهرت آماله ، وطابت أمانيه ، فخلف شيخين كان موئلهما ، وأفراخا صغارا كان شديد الحدب عليهم . فبكى فيه الشاعر هذه العواطف والأمانىّ :

طال ليلُ الأسى ، فأين الصباحُ
أترى الهم ثاويا لا يزاحُ
خفّف السهدَ والنواحَ ، فما يجـ
ـدي أخا الحزْنِ سهده والنواح

دارنا هـذه مقـام غُـرُور
نحنُ فيهـا كأننا أشباحُ
كل ما يرتجى من الخير فيها
أملٌ باطـلٌ ، وختلٌ صراح

* * *

يالنَفْسِي كأنَّها ريشةٌ هبَّـ
ـت عليها فأقلقَتْها الرِّياح
كنتُ جَلْداً على الحوادثِ ألقا
ها بعزم تَكِلُّ عنه الصفاح
هازِئاً بالخطوب أني ترا آى
وجْهُها بالنحوسِ وهو وَقاح
غير أن المنون غالتْ أخا سمـ
ـحاً بأمثاله الليالى شِحاح

يوم عبْد الحليم : لا كنتَ يوما
غاض فيك النّدى وأودى السماحْ

يوم عبْد الحليم : كم من عيونٍ
فيك أضحت ودمعُها مستباح

يوم عبْد الحليم : كم من قلوب
أثخنَتْها ــ على يديك ــ الجراح

* * *

لهفَ نفسي على شَبَاب تردّى
كان فيه ــ إلى المعالى ــ طماح

لهف نفسي ، أحين تكمل حسنا
تتوارى ، تلك الوجوه الصباح ؟

أين آياته الزواهى الغوالى
أين أخلاقه السماح السجاح

أين آلاؤه التي غمر النا
س بها ؟ أين وجهه الوضاحُ ؟
أين مثوى ذاك الجلال المفدّى ؟
أين قرّتْ تلك السجايا الملاح ؟
أدب بارع ، وخلق كريم
ووفاءٌ ، وعفةٌ ، وصلاح
وحديثٌ كأنه ثمر الجـ
ـنة ، تشتاقه الرجال الفصاح
من نثيرٍ كالزهرِ حُسْناً ، ونظمٍ
مستجادٍ ، فيه المعانى الصحاح
مطرب للنفوسِ ، يشربه السمـ
ـع ، كما رنّ مزهر صدّاح
كلُّ هذى الخصالِ غيّبها القبـ
ـر ، ووارتْ جمالهن البِطاح

غالها الموتُ في ربيع الشباب النـ
ـضر ، فانهارتْ الأمانى الفساحُ
غالهـا الموتُ في أوان نماء
فتولّى أريجهـا الفيّـاح
غالهـا الموت حين أزهرتِ الآ
مال فيها بل حين تم النجاح

***

مَنْ لشيخٍ وشيخةٍ سَعِـدَا حيـ
ـنًا فلما نَأيتَ هيض الجناح
من لإخوانك الأُلى قد سقاهم
من جَـدَى فضلك الزلالُ القراح
من لأفراخـك الصغار وقد غبـ
ـتَ ، فحلّت بدارك الأتراح

شدتها ـ والرجاء يحدو ـ فأقصا
لكَ قضاءٌ على النفوس متاحُ (١)

كنتَ فرداً تكافح الدهر بالعزْ
م مجداً فما أفادَ الكفاح

أجلُ المرء بين يومٍ ويومٍ
يتقضّى ، وللزمان جماح

فسلام عليك ما طلع البدْ
ر وما أعقبَ المساءَ الصباح

---

(١) كان عبد الحليم قد فرغ قبل موته بقليل ، من تشييد دار بذل فيها كل ما جمعه فى حياته ، وعلل النفس بالأمال فعاجله الموت قبل أن يستمتع بها .

بلادة شاعر (١)

مازال الشاعر محمد الأسمر يشكو الزمن وأهله ، حتى خُيِّل له أن بلادة الطبع كنز يسعد صاحبه فنشر أبياتًا بهذا العنوان ، وأجابه عليها صاحب الديوان .

قال الشاعر الأسمر :

« حمـدا لربى وشكرا   صرت الغداة بليدا
خبت طباعى وكانت   نار المجـوس وقودا
فلو تلمست منهـا   شـيئًا لمست جليدا
من بلّـغَ الناس أني   أصبحت أحيا سعيدا
ما إن أبالى أ كانوا   ماء معى أم حديدا
أو أرسـلوا بنعيب   أو غردوا تغريدا
أمتّ كل شعوري   فصار عيشى رغيـدا

---

(١) أخذنا العنوان الذى اختاره الشاعر لمقطوعته .

بـلادة أتلقى بهـا الذميم حميـدا
بالأمس قلت لقلبي: إليك عني بعيـدا
ألقيته من ضـلوعى هل كنت إلا رشيدا ؟!
من عاش بالقلب لاقى من الزمان الشديدا »

وقال صاحب الديوان:

يا شـاعراً جعلَته سـود الليالى بليدا
لطفتَ حسنا ومعنىً وقلت قولا سـديدا
يهنيكَ ما بتَّ فيـه من الرّكود قعيـدا
أحسنتَ بالقلب صُنْـعاً فَـدَعْـهُ عنك بعيدا
ما القلبُ إلا شِرَاكٌ مُـرَادُها أن تصيـدا
وفي الشعور عنـاءٌ يعيي القوىّ الشديدا
ورقـةُ الطبـع نعمى تجْـنِي عليكَ حقودا

***

كم مِنْ غبيّ جهولٍ يطوى الحياة سعيدا ؟!

وكم ذكيّ عليمٍ يلقى بها التشريدا!
لا السّعيُ فيها بمجدٍ ولو شددت الجهودا
وهل تُفيدُ جهودٌ إذا أضَعْتَ الجدودا(١)

* * *

يا شاعرا بات يشكو من دهره التنكيدا
وكان حراً طليقاً فعاد يشكو القيودا
أحسنْتَ بالناس ظنا وسرتَ فيهم رشيدا
ما زلت تولى صنيعاً في كلّ يوم جديدا
وتلبس الحلمَ دِرْعا وتَنْشُدُ السّلم عيدا
فلم تصادفْ وفاءً ولم يَصُونوا العهودا
كانوا الذئابَ طِبَاعاً وإن تَرَاءوا أسودا
فلم يُفدْكَ احتراسٌ من كائدٍ أن يكيدا
فالآنَ حسْبُكَ نعمى أن عشت فرداً وحيدا

---

(١) أضاع الشيء فقده ، والجدود جمع الجد وهو الحظ .

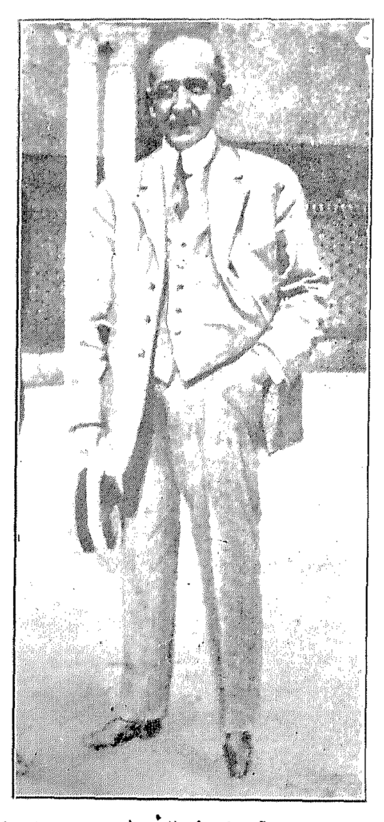
صدى الحنين

حنّ أمير الشعراء المرحوم شوقى بك إلى وطنه مصر وهو فى منفاه بالأندلس ، إبان الحرب الكبرى ، فأرسل أنّة هزت القلوب فى ثلاثة أبيات ، ورجّع حنينه كثير من شعراء مصر ، وكان لصاحب الديوان نصيب من هذه المطارحة الأدبية . وقد رأينا أن نثبت أبيات أمير الشعراء وبعض ما جادت به القرائح

(١)

قال المرحوم شوقى بك :

يا ساكني مصر : إنا لا نزال على
عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نيلكم
شيئاً نبُل به أحشاءَ صادينا



شوقي بك في الأندلس (١٤)

كلُّ المناهلِ ـ بعد النيلِ ـ آسنةٌ
ما أَبعدَ النيلَ إلاّ عن أمانينا

(٢)

وقال المرحوم إسماعيل صبري باشا

يا وامض البرق كم نبّهت من شجنٍ
في أضلع ذهلتْ ـ عن دائها ـ حينا
فالماءُ في مقلٍ ، والنار في مهجٍ
قد حار ـ بينهما ـ أمرُ المحبينا
لولا تذكرُ أيامٍ لنا سلفتْ
ما بات يبكي دماً في الحيّ باكينا
يا آل وُدّيَ : عودوا ـ لاعدمتكم ـ
وشاهدوا ـ ويحكم ـ فعل النوى فينا
يا نسمة ضمختْ أذيالها سحرا
أزهارُ أندلسٍ هُبّي بوادينا

(٣)

وقال المرحوم حافظ ابراهيم بك :

عجبتُ للنيل يَدرى أن بلبله
صادٍ ويسقى رُبَى مصرٍ ويسقينا

تالله ما طاب للأصحاب موردُه
ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه – وإن فارقتَ شاطئَه –
وقد نَأينَا وإن كُنَّا مقيمينا

(٤)

وقال صاحب الديوان :

يارائد الشوق عِمّ روضَ أندلس
واحملْ إليه شذى طيبِ المحبينا

وصفْ لبلبل مصر ما نكابده
من لاعج الشوق في تذكار ماضينا

سرتْ لنا نفحةٌ منه معطرةٌ
فذكّرتنا وما كنا بناسينا

يا غرّةً ـ في جبينِ الدهرِ ـ واضحةً
ويا هلالاً سمَا فى أفقِ وادينا

كنتَ الهزَارَ تغنّينا فتطربُنَا
وقد نأيتَ ، فمن ذا بعد يشجينا ؟

لا تحسَبُوا أن ماءَ النيلَ بعدكمْ
عذبٌ كعهدكمُ مُذْ كان يُرْوينا

إنا سواءٌ ، دهتنا غربَةٌ وجوىً
وإن أقَمْنَا ـ على رغدٍ ـ بأهلينا

ما أهْوَنَ الدَّمعَ فى عيني وأغزره
وهل سوى الدمع مِنْ سَلوَى بأيدينا

دمعة على أمير الشعراء

ألقيت فى الحفلة التى أقامتها وزارة المعارف المصرية لتأبينه .

أبا الشعر: هب لي من بيانك مسعدا
ليلهمني فيك الرّثاء المخلّدا

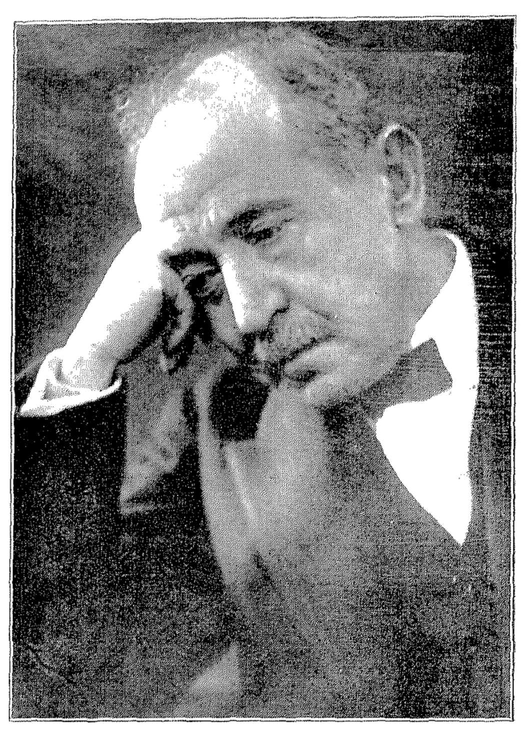
أبا الشعر : مهلا كيف فارقت أمّةً
بنيتَ لها ركنا ، وجددتَ سؤددا

ألم يكفِ مصراً أن تودّع «حافظا»
وقد كان للفصحى إماما وسيدا (١)

سعيتَ إليه مستهاما . كأنما
ضربتَ له ـ فى جنة الخلد ـ موعدا

---

(١) يشير إلى مصرع الشاعر المرحوم حافظ ابراهيم بك.



شوقي بك في أخريات أيامه (١٥)

فهل جئته شوقا إليه ؟ وهل أبى
وفاؤك إلا أن تمدَّ له يدا ؟

لقد كنتَ فى الدنيا وفاءً مجسما
فأصبحتَ فى الأخرى أبرَّ وأحمدا

وأى وفاءٍ يرقبُ الناس مثلَه
أحبُّ وأصفى من وفائك موردا

تذكرتَ إخوان الصفاءِ وقد رمتْ
صروفُ الردى سهماً إليك مسددا[1]

وأوصيتَ فيهم بالسلام ، ولو دَرَوا
لوافوا سراعا يشتهون التزوّدا

وأقبل دانيهم وقاصيهمو معاً
يفدّون بالأرواح لو كنت تفتدى

---

(١) كان آخر ماذكره أمير الشعراء وهو يحتضر أصدقاؤه فأوصى فيهم بالسلام .

أحين استرحنا واطمأنتْ نفوسُنا
إلى المجمع المشهودِ أعجلك الردى؟[١]
فهدَّ من البنيان ركناً مشيداً
وأطفأ نبراساً وغيّب فرقدا
أحين تعالى البدرُ فى أوجِ عزه
وأصلحَ هذا الدهر ما كان أفسدا
نأيتَ –على رغمٍ– وأبقيتَ حسرةً
تذيب وخلّفتَ الأنينَ المردّدا؟
وليس عجيبا أن تشطَّ بك النوى
فما تقرب الغاياتُ إلا لتبعدا
وصاحبتَ بيتَ الملكِ خمسين حجة
تناهتْ نعيما، ما أجلَّ وأسعدا

---

(١) يشير إلى المجمع اللغوى الملكي وقد كانت العدة أخذت فى إعداده وصدر المرسوم الملكي بتأليفه أخيراً.

حفظتَ بها عهد الولاء لعرشه
وعُوِّدت فيها بسطة الكف والندى
وتَوجَّها عطفُ المليك وبِرُّه
فأرغمتَ أعداءً وأفحمتَ حسدا

***

رفعتَ لواءَ الشعر والنثر عاليا
فخرَّ ملوكُ الشعر والنثر سجدا
وسستَ فنونَ القول فارتاضَ صعبُه
وزوَّدتَه الحسنى ، فأبلغته المدى
فهل ناثرٌ إلا بلألائك اهتدى
وهل شاعرٌ إلا بآياتك اقتدى
وكم لكَ آياتٌ جمعتَ شتاتَها
ونظّمتها عقداً فريداً منضدا (١)

---

(١) يشير إلى رواياته التمثيلية التي نجحت نجاحاً باهراً.

شهدْنا بها التاريخَ أنصعَ حجةٍ
وأوضحَ منهاجاً وأفسحَ منتدى

وكم صُغتَ ألحاناً بعثتَ حنينها
معيناً على همّ الليالي ومنجدا

« فسارَ بها من لا يسير مشمرا
وغنّى بها من لا يغنى مغردا (١) »

سلوا الكرمة الفيحاءَ كم فاح طيبُها
وكم شهدَتْ من جلوة الأنس مشهدا

فلم تكُ ألا للسماحة مهبطا
ولم تك إلا للفصاحة مقصدا

* * *

أرى النيل لولا عهدُه ووفاؤه
لغاضَ ولم ينقع لذي ظمأ صدى

---

(١) البيت للمتنبي .

تآخيتما في حبِّ مصرَ ، فكنتما
بها منهلاً يُروى الظماءَ ومَوردا

فأحمدَ منك النيلُ إعلاءَ ذكره
وأحمدتَ منه فيضَه المتجددا (١)

فقم واستمعْ صيحاتِ قومِك إذ سرى
نعيُّك فيهم فاستطارَ وسهّدا

وجلّلتِ الوادي – لفقدِك – ظلمةٌ
فقد كنتَ فيه نجمَه المتوقدا

تنادَوا أحقًّا زايلَ الغيلَ ليثُه
وأصبحَ بطنُ الأرض لليث مرقدا

---

(١) يشير الى قصيدته المشهورة في النيل ومطلعها
« من أي عهد في القرى تتدفق
وبأي كف في المدائن تغدق »

تمشّى الأسى فيهم كهولا وفتية
وصاحبهم هم أقام وأقعدا
بكوا علماً لم يعهد الدهرُ مثله
أخا كرم بالحسنيات تفرّدا
أعادَ إلى أم اللغات رُوَاءها
وشقّ لعافيها الطريقَ المعبّدا
علا صوتُه فى الشرق والغرب محسناً
وجاوزَ آفاق الكواكب مصعدا

***

وصاحَ نذيرٌ ودّع الشعر مصره
وأتهمَ في غور الفيافى وأنجدا
فيا ضيعة الأشعار بعد أميرها
غدا ملكها فى الناس نهبا مبددا

ولكنّ صرحا كنتَ باني ركنه
يُرَوِّعنا ألاّ يبيت مجدّدا (١)

وملاكَ بيان كنتَ حارسَ مجده
يَعزّ على العلياء ألاّ يوطّدا

فنمْ آمنا ، هذا تراثك خالدا
على الدهر، يهدينا السبيل إلى الهدى (٢)

وهذا لواءُ الشعر ما زال خافقا
عزيزاً كما ترضى ، وإنا له الفدا

---

(١) الصرح : القصر وكل بناء عال .

(٢) الإرث والورث والوراثة والتراث : ما يخلفه الرجل لورثته .

تحية العروبة

اشترك فى تأبين أمير الشعراء المرحوم شوقي بك كثير من شعراء الأقطار العربية وأدبائها الذين وفدوا لهذا الغرض خاصة ، وساهموا في مصاب الأدب العربى بأوفى نصيب ، فودعهم الشاعر عند سفرهم بهذه الأبيات :

حيّوا العروبَة فى عُلْيا مراتبها
وخيرِ فرسانِها شيبًا وشبانًا
كنا نقاسمُهمْ سِرًّا أمانِيَنَا
فاليومَ أصبحَ ذاكَ السرُّ إعلانا
هَيّا بني اللغةِ الفُصْحى نمدّ يداً
تسمو بها ، وتردُّ الشكَّ إيمانا
عَمِّرْ نُمُو مضَرَ بالأخلاقِ فاضلةً
وشُدْ نُمُوَّ من جميل الصّنْع بنيانا

أسوْتمو جُرحَها ـ فى فقْد شاعرها ـ
فَلا بَرِحْتُم لها فى الخطب أعوانا

وجُلْتُمو جولةً ـ فى الشّعر ـ صادقَةً
فما تَرَكْتُم لربّ السبق ميدانا

فامضُوا كراماً ـ كما جِئْتُمْ ـ وحسبكمو
حسنُ الوَفاءِ ، وصدقُ الودّ برهانا

إنا على العهد ـ لا نبغى به بدلا ـ
هيهاتَ نَرْضي بَدِيلَ الصّدقِ بهتانا

وتلك واشجةُ الآداب تجمعُنا
فى الله ، والشعر ، والآمال ، إخوانا

***

كم في القديم جديد الحسن مؤتلق
يُوليك ـ من قسماتِ الحُسنِ ـ ألوانا

إمّا بعثْنا ـ على الأيام ـ جِدَّتَه
أو فى على جُدُدِ الآدابِ ميزانا
وكم جديدٍ نَعِمْنا من نَضارته
فى أبهج الروض أطْياراً وأفنانا
كلاهما تملأ الدنْيا مَحَاسِنُه
وتَسْتَجِدّ بِه الآدابُ إحسانا
طَلَعْتُمو بِهِما آيًا تصوغُ لنا
بدائعَ الغربِ في تبيانِ « سحبانا »
فامشُوا إلى المجدِ لاخوفٌ ولا وَهَنٌ
وجَدّدوا ـ من بناء المجدِ ـ أركانا
وهذه مصرُ في المسعى تعاونكم
أكرمْ بِهَا في سبيلِ المجدِ مِعْوانا
سما « فؤادٌ » بِها في كلِّ منزلةٍ
حتى غدتْ لربوع الشّرقِ عنوانا

نوح ورقاء

قيلت هذه الأبيات على لسان واحد من خاصة أصفياء المرحوم شوقي بك ، وقد صاغها الشاعر فى رقة طبع ذلك الصديق وعذوبة صوته :

هتفتْ على الأغصانِ قلتُ ترفّقي
ولّى زمانُ الشدوِ والألحانِ

فتلفّتتْ حيرى ، يكادُ يذيبُها
ما قَدْ دَهَاها من أسى ودهانى

وشكتْ فراقَ أليفها ، فتحرقت
أشجانُ قلبٍ دائمِ الخفقان

لم أحتملْ وقعَ المصابِ وهولـه
فكأنَّما عقدَ المصابُ لساني

ياليل قد ظفرت يداك بمدنف
يَرْعَى نجومَك ساهِرَ الأجفانِ

* * *

يا كوكبَ الوادي، وبُلْبلَ دَوْحِه
ماذا تَركتَ لنا من الأشجان!

شوقي إليك - كما عهدتَ - على المَدَى
هيهاتَ أن أنسى، فهل تنساني؟

وبعثتَ منك تحية، هي عُدَّتي
فيما أكابدُ من جوى وأعاني

هذا مكانُك قد عرفتُ سبيله
ياليت شعري هل عرفتَ مكاني؟

إني علمتُ - وقد تخيرك الردى -
معنى الخلود، وكلُّ حيٍّ فان



الطيّار فؤاد حجاج (١٦)



الطيّار شهدي دوس (١٧)

الاجنحة المتكسرة

أوفدت الحكومة المصرية فى أخريات سنة ١٩٣٣ عشرة من الطيارين المصريين لتسلّم أول سرب من الطيارات الحربية المصرية وفي خلال عودتهم هاجمت اثنين منهم « فؤاد حجاج وشهدي دوس » عاصفة هوجاء فى الجو الفرنسي، لم يقويا على مكافحتها فراحا ضحية الواجب واهتزت البلاد لمصابهما فخصهما الشاعر بهذا الرثاء :

غاب نجمان من سمائك يا مصـ
ـرُ فلا تجزعي ، وصبرا جميلا

لا يرعْك الزمان باليأس ، إنّا
قد عرفناه بالرجاء بخيلا

لم نكدْ ننظم التهانئ حتى
صار نظم الرثاء أقومَ قيلا

في سبيل العلا ، وفي ذمَّة الله
ـه شبابٌ بالغربِ أودى قتيلا
فيكِ يا مصر مالقينا من الضـ
ـرّ شبابا مضحيا ، وكهولا
فيك يا مصرُ ماشكتْه نفوس
ما ارتضت منكِ بالحياة بديلا
أي مجد لأمة لم تصاحبْ
في سبيل العلا ، دما مطلولا

* * *

رب أمٍّ قضتْ طوال الليالى
فى رجاء ، وأمعنتْ تعليلا
أمّاتْ فى الحياة فضل سرور
فتقاضتْه أنّةً وعويلا !
وأبٍ جاد بالنفيس من المـا
ل ، وبالنفس ما استطاع سبيلا

عاش يروي بنيه بالادب الجـ
ـسم ولكنْ لم يجن إلاّ الذبولا
لم يمتَّع بهم ، وليس عجيبا
هل تعيش الأزهار إلا قليلا
وأخٍ مشفق يذوب حنانا
سلبتْه الأيام ذخراً جليلا
وصديقٍ بكى أخا ذا وفاء
لم يكنْ عن عهوده ليحولا
فجعتْهم يد المنية فيمن
أمّلوهم ، وعجّلتْ تعجيلا
قد دعاهمْ للمجد داعٍ فلبو
ه وراضوا الصّعاب ميلا فميلا
غير أن الردى تحكّم فيهم
والليالى ضنينة أن تنيلا

لو دَرَوا أنه فراقٌ طويلٌ
لقضوا منهمو وداعا طويلا

* * *

ويكَ يا دَهرُ ما رعيتَ ذماما
لكرامٍ ، ولا حفظتَ جميلا
كيف حاربتهم وكانوا يرونْ الـ
ـمجد عينا ، فما استطاعوا وصولا
لبكيْنا دما ـ بفيض المآقى ـ
لو شفى الدمع حرقة وغليلا
وشققنا الجيوب لو كان هذا
ـ فى سبيل العزاء ـ يجدي فتيلا

* * *

يا غصونا نمتْ بروض المعالى
كنتِ ـ لولا المنون ـ ظلاًّ ظليلا

كنتمو زهرة البلاد فأذوى
حادث الدهر غرسها المأمولا

أنظروا هل ترون إلا وجوها
كاسفات ، وأدمعا ، ونحولا

إن يفتكم حظ الحياة فقد خلّ
دتمو للبلاد ذكراً نبيلا

وبعثتم فى النّشء روحاً كريما
وبنيتم للأهل مجداً أثيلا

***

ياغزاةَ النسور ماذا أثرتم
من أسى يترك الأعزَّ ذليلا

أيّ ركنين من دعامة مجد
أيّ سيفين يحميان الغيلا

كنتمو شعلة الذكاء فصرتم
شعلة المجد ، قربتْ مستحيلا
إن تغبْ شمسكم ، فهذا شعاع
فى دجى الحادثات يهدى القبيلا
دمكم خط للشباب طريقاً
للضحيات ، لم يكنْ مأهولا
حسبكم فى الجلال عطفُ مليك
لم يزلْ عطفه لمصر كفيلا
مسحتْ كفُّه الكريمة جرحاً
فشفتْ غلة ، وأعطتْ جزيلا





الأستاذ داود بركات (١٨)

شيخ الصحافة

ألقيت في حفلة تأبين الكاتب الكبير داود بركات
بدار الاوبرا الملكية فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣

هوى كوكبٌ فى الداجيات منيرُ
وأخفت صوت الحق وهو جهيرُ

تُرى الموت يدرى أيّ نفس أصابها
وأيّ عظيم غيّبته قبور

فتى كان ملء العين والسمع لم يزلْ
يواتيه قلبٌ أيّد وضمير(١)

يكاد يرى الغيب الخفيّ مكانه
وقد أسدلت دون الغيوب ستور

وما علم المكنون من طرقاته
ولكنه رأي أغرّ بصير

---

(١) الأيد : الشجاع والقويّ .

فقدنا به ثبتَ اليقين مظفَّراً
فأعوز مقدام ، وعزّ ظهير
وعوجل في شيخ الصحافة كاتبٌ
عليم بأسرار البيان خبير
وحطّم عادي الموت حرّ يراعة
لها صولة مرهوبة وزئير
ففي السلم منها والمودّة جُنَّةٌ
وفي الحرب منها والخصام سعير

***

وداعاً أبا الكتاب غيرَ مدافع
وذلك شأوٌ لا ينال خطير
فيالكَ فضلا لم تشبهُ نقيصة
ويالك علماً لم يشبْه غرور

ويالكَ خلقـاً كان كالزهر يانعاً
له نضـرة مجـلوّة وعبـيرُ

ويالكَ حلماً لم تكدّرْه نبوة
ولا هاجـه يوم الحفيظة زور

ويالكِ دنيا لا أمان لبطشـها
يسالمها الإنسان وهي تغـير

فيا مصرُ ما للغاشيات تآلفتْ
عليكِ كأنّ الدهر منك غيور

أفي كل يوم سـيدٌ إثرَ سـيد
نشيّـعهُ ، والخطب فيه كـبير

***

أداودُ قمْ فانظرْ حواليك أسرة
لهـا حسرةٌ ما تنقضي وزفـير

حنوتَ عليها واحتملتَ همومها
وكان لها فى ذروتيك مجيرُ
كأني بها تمسى وتصبح والجوى
يجدّد من لأوائها ويثير
إلى الله تشكو ما تلاقى من الأسى
وتسأل كشف الضرّ وهو قدير
أداودُ قمْ فانظرْ حواليك عصبة
قلوبهمو شوقا إليك تطير
يقلّب كلٌّ ناظريْه لعله
يوافيه بالأنباء عنك بشير
وتلك مُنىً - يا حسنها - لو تحققتْ
ولكنّها حلمٌ مداه قصير
وما راعنا إلا نعيّك صائحا
به - فى ربوع الخافقين - نذير

لبِسنا له ثوبَ الحـداد ، فردَّنا
إلى الصبر ، أنا حيث صرتَ نصيرُ
إذا مصر أنَّتْ في مصابك أنَّةً
تجاوبُ دمعٌ في الشآم غزير
وإن ذكرتْ مجـداً عقدت لواءه
فـكلتـاهما يوم الفخار فخور
هما خـطّتنا عهد الولاء فصانه
وفاء ، وهل غير الوفاء نصير
هما وطنُ الأحرار لم يرهب الأذى
بنوه ، ولا ملّ الـكفاح أسـير

* * *

لئن بتَّ يا داودُ رهن جنـادل
تساوى لديها موسر وفقـير

وغيّب ذاك القبرُ نبراسَ أمّة
وغرَّ خصال ما لهنَّ نظيرُ

لقد بقيتْ ذكراك في الناس آيةً
وخُطتْ لها فى الخالدين سطور

فكم موقفٍ فى خطب مصرَ وقفته
تشير ، فيمضى القوم حيث تشير

فما خاب رأيٌ كنتَ مورىَ زنده
ولا ضلَّ ركبٌ كنت فيه تسير

وكم غاية تنضى الأمانيُّ نحوها
ويرتد عنها الطرف وهو حسير

سموتَ لها فى عزّة وترفق
فدانتْ ، ولو أن المنال عسير

وكم من سَريٍّ كان جاهك رفده
وكم من فقير عاد وهو شكور

رحلتَ عن الدنيا كما جئتَ قانعا
وكم فاض من جدوى يديكَ بحورُ !
وخلَّفتَها خلواً على أن فيأها
لمثلك فيه جنة وحرير
فلو شئتَ لم يعجزْكَ مال تصونه
عزيزا ، وأسباب الثراء كثير
ولكنَّ ما أبقيتَ أسمى مكانة
وهيهات منه ضيعة وقصور

* * *

فيا صاحباً ما كان أصفى وداده
أتذكرني ؟ إن الكريم ذكور
ويا كوكبا أدجى فأدجت بفقده
كواكبٍ كانت من سناه تنير
عليكَ سلام الله حياً وميّتاً
فأنت بموفور السلام جدير

متفرقات

الحيرة

أبى ليَ الحب إلاّ حيرة العاني
فهل معينٌ على سهدى وأحزاني

لم أجْنِ غير الهوى ذنبا ولو علمت
نفسي بعقبى الهوى ما كنت بالجاني

راجعتُ نفسى فلم أحمدْ تفانِيهَا
في حبّ من بتّ أرضاه فيأباني

ومنْ إذا هجعتْ عيناىَ مسَّهما
بسحره طيفُه السارى فأضناني

يا مطلقا دمع عين غير ناضبة
أنا الأسير للحظ منك فتانِ

لله فى كل شيء آية وأرى
فى حسن وجهك معنىً زاد إيمانى

تشوق

يا طلعة أين منها طلعــة القمر
شوقي للقياك شوق الروض للمطر
إن غبت عن نظري حينا ، فقد بقيت
في مهجتي صورة من أبهج الصور
كم ليلة بتّها والنجم يشهد لي
مشرد النوم موكولا الى السهر
لم أشك فيها سوى هجر مُنيتُ به
أقامني بين طول السهد والفكر
فهل صدودا أرى؟ أم هفوة بدرت؟
أم أنت من خشية الواشين فى حذر ؟
وما تخوّف واش حين يجمعنا
داعي العفاف وتقوى الله فى أُزُر !
زيدي صدودا فانى لا أزيد سوى
حبٍّ إليك ، وإن أمسيتُ فى خطر !

حسبي رضاك

رُحماكِ يافتنةَ فى الحسن رُحماكِ
هلاّ رعيتِ محبا بات يرعاكِ
لم يضْنني غيرُ آلامٍ يفيض بها
قلبي المعنّى ، وجفنى الساهرُ الباكي
متى الوفاء بوعد منك أرقبه
فيه الحياة لشاكٍ ليس ينساكِ
فما نعيميَ إلا ما رضيتِ به
ولا السعادة إلا يوم لقياكِ
ولا مُنى النفس إنْ جاد الزمان بها
فى ناظريّ بأشهى من محيّاكِ
حسبي رضاك من الدنيا وزينتها
فان ضَنَنْتِ فحسبي منكِ ذكراكِ

شكوى الاديب

شكا أديب كيد الزمان، وما يلاقيه من حسد الإخوان، حتى على البؤس والحرمان ! فكتب اليه صاحب الديوان :

أأنتَ على ما أنتَ فيه محسَّدُ ؟
فكيف إذا ألقى الزمامَ لكَ الغدُ !

ظمئتَ وهذا النيل يروى بفيضه
مِنَ الناسِ مَن لا يستحقُّ ، ويرفد !

وأعلنتَ فى شكواكَ صرخة واجدٍ
تهز فؤادَ الدهرِ لو كان يرشد

ألمْ يكفِ ما يلقى الاديبُ من الأذى
ومن نفثاتٍ كالسهامِ تُسَدَّد ؟

إذا همَّ ناشَتْه الأفاعى وأبرزتْ
نيوبا ، فما يدرى إلى أينَ يقصد !

كأنَّ مدى الاحسانِ أن يتركَ الذي
يُحِبُّ ، إلى ما يرتضيه المفَنَّد !

رابطة الادب العربي

أهدى صاحب الديوان إلى نادى «رابطة الأدب العربي» لوحة بخط الأستاذ سيد ابراهيم وفيها هذه الأبيات :

هل كانَ بين ذوي الآدابِ من رحمٍ
أو كان فيهم سوى كيدٍ وأشراكِ
كانوا إذا أخذتْهم عزّةٌ فزعوا
لموردٍ من سموم الحقدِ فتّاكِ
واليوم يجمَعُهم حبٌّ وعاطِفَةٌ
تأسو جراحَ الأديبِ البائِس الشاكي
وألفَتْ بينهم فى الله رابطة
لم يثْنِها نصَبٌ أو لَوْمُ أفّاكِ
سلمتِ «رابطةَ الآداب» فى زمنٍ
يشقى الأديبُ به، لولاكِ لولاكِ

مودة الغريب

يا ربَّ ذى رحم في سمعه صممٌ
يلقاك حين يجد الجد معتذرا
ورُبَّ خلّ وفيّ فى مواثقه
يفديك بالروح لا منًّا ولا كدرا
فاحفظ مودة من يولى مودته
أكرم بها موئلا فى الخطب مدّخرا

فات وقت النصح

وعاذلةٍ ألحت علىّ بلومها
وقالتْ لئن لم تتركِ الحبَّ أزددِ
فقلت : وفي عينيَّ دمعة صادق
لقد فات وقت النصح ويحكِ فاشهدى

الوفاء

إذا تباعدَ جسما صاحبين فما
في ذاك نقصٌ لودٍّ ضمَّ روحينِ
بين القلوب اتصال في تباعدها
نورُ الوفاء يزيدُ الحبَّ ضعفينِ
كم ألَّفَ الحب من قلبين فائتلفا
به وقسّم روحا بين جسمينِ

صورة البدر

تبدّت بليلٍ وهي كالبدر نورها
يفيض على الأكوان أي ضياء
فأيقنتُ أن البدر دان من الثرى
أوَ اني أقلتني المنى لسماءِ

ايه يا مصر

إيه يا مصرُ أنت أكرم دارٍ
لفتيً دأبه طلابُ المعالى

وطن كله جمالٌ وخيرٌ
ومَرادٌ لأكرم الآمال

ففداكِ النفوس إن ساءك الده
ر وراعتك حادثاتُ الليالى

الدنيا

ألا إنما الدنيا متاع غرور
يُداولُ فيها من أسى وسرورِ

فما مغتدٍ إلا ومزمع روحة
ولا مختف إلاّ وشيك ظهورِ

ساعة الوداع

لله موقفنا غـداة تفرقتْ
عـنّى الحبيبة والدموعُ غزارُ
أبـكي وأوصيها بحفظ عهودنا
إن العهود على النوى تذكارُ
فتقولُ حسبك من خياليَ طيفه
إن جدّ بى نأىٌ وشـط مزار
وهل التعلّـلُ بالخيالِ مساعدي
إن عزّتِ الآمال والأوطار ؟

ليلة

يا ليلةً وصلتنا بالنعيم فدًى
لكِ الليالى التي ولّـت على حزنِ
فليتَ صبحكِ لا يغشي معاهدنا
وليتَ أن نهار الناس لم يكن

فهرس

فهرس صور الديوان

يعدّ صاحب هذا الديوان من أفضل نعم الله عليه أن وفّقه الى إبراز ديوانه على هذه الصورة، ولن ينسى ما لقيه من صدق المعونة وحسن الترحيب .

ولقد وقع في بعض صفحاته هنات هيّنات ، ليس بالمسيء أن يلوذ فيها بالاعتذار ، ولا بالكثير على أهل الفضل أن يتلقوها بالاغتفار

